أخلاق الحرب عند الإمام علي

محمد عيدان العبادي

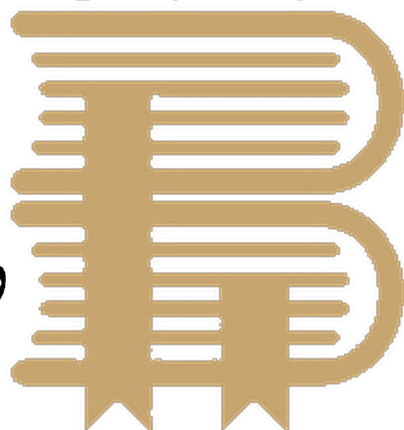
دار الأمين

أخلاق الحرب

عند

الإمام علي (عليه السلام)

محمد عيدان العبادي



دار الأمين
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الأمين : لبنان - بيروت - هاتف: ٠٣/٦٧٧٤١٨
للطباعة والنشر والتوزيع

فهرس المحتويات

الباب الثاني

أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) أثناء خلافته

الفصل الأول:

أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في معركة

الجمل ١٠ جمادى الأولى ٣٦هـ.

الفصل الثاني

أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في وقعة

صفين آخر ذي الحجة أو غرة سنة ٣٧هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى، والسلام على النبيّ المصطفى، وأخيه المرتضى وآله.

المقدّمة

ساهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، بتقديم صور أخلاقية متنوعة، قد روّقت من الكدر حتى كأنها الأنهار التي وعد المتقون في المنزل الآخر، لعظيم منظرها، ولذيذ طعمها الروحي؛ الذي يدفع بالنفس نحو سلحات العمل.

لقد أدنى الإمام ظلال أخلاق الحرب، وذلّل قطوفها تذليلاً، فكان في التقوى سيداً وحصوراً، وفي الصّدق والإخلاص كأنّه لؤلؤاً منثوراً، وفي كل شيء له آية أخلاقية كبرى تدل على شأوه البعيد، الذي لا يدانيه أحد فيه غير الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

سابقة الموضوع:

بعد تتبعنا المتواضع لم نعثر على بحث يتناول وبشكل مستقل؛ أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام)، لا سيما وأن جزءاً من حياته المباركة قد قضاه في جهاد أعداء الله ورسوله.

أما الكتابة في حقل أخلاق الحرب، فقد كتب بعضهم في ذلك؛ سواء كان على شكل كتب، كما هو في " **أخلاق الحرب في الإسلام بين النظرية والتطبيق لمؤلفه السيد حسين الحسيني الزرباطي** "، وأيضاً كتاب " **أخلاق جبهة لمؤلفه جواد محدثي** "، وبعضهم كتب مقالات في مجلات فصلية، أو شهرية، كما هو في " **أخلاق وآداب الحرب في الإسلام والقانون الدولي، لصاحبه يوسف السلوم، في مجلة الحرس الوطني، العدد ١٠٤**"، و " **أخلاقنا الحربية، لمصطفى السباعي، في سلسلة من روائع حضارتنا، دمشق، مطبعة دار السلام سنة ١٩٥٩م**" و " **تعاليم الحرب عند الإسلام، لمحمد عبد**

الرزاق السبتي ، في المجلة العسكرية العدد ٢، نيسان ١٩٤٦م " و " الأخلاق الإسلامية في معاملة الأعداء ، لمحمد عليّ برو ، في مجلة التوحيد العدد ١٧ سنة ١٤٠٥هـ .

حدود البحث:

ما نقصده من أخلاق الحرب ، الأعمال والسجايا الأخلاقية في ميادين الحرب ، التي تنبثق من روح الكتاب العزيز ، والسنّة النبوية التي ترجمها أمير المؤمنين (عليه السلام) .

أما الحدود الزمانية للبحث فسنوضحها بما يلي:

١- الفترة التي عاصر فيها الإمام (عليه السلام) غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) وسرايه ؛ كان له فيها دور فعال ومؤثر ، وتمتد من السنة الأولى إلى السنة العاشرة من الهجرة النبوية.

٢- في أثناء خلافته (عليه السلام) ، حصلت ثلاث معارك ؛ على محاور وسنين مختلفة ، معركة الجمل في سنة (٣٦هـ) ، معركة صفين في سنة (٣٧هـ) ، ومعركة النهروان في سنة (٣٨هـ).

٣- لا يشمل البحث الفترة من السنة الحادية عشر إلى سنة خمسة وثلاثين من الهجرة؛ لأن الإمام (عليه السلام) لم يشترك في تلك الحروب .

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن الأسئلة التالية :

السؤال الأول : ما هي علاقة وتأثير الأخلاق بالحرب ؟

السؤال الثاني : ما هي الأخلاق التي بثها أمير المؤمنين (عليه السلام) في غزواته ومعاركه ؟

السؤال الثالث : هل هناك علاقة بين أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخلاق القرآن ، وبالتالي صلتها بالرسول (صلى الله عليه وآله) ؟

ضرورة البحث:

تكمن ضرورة البحث في أنّه يبيّن وجود علاقة وثيقة، وصلة أكيدة بين الأخلاق التي نادى بها القرآن مفصلاً، وبيّنها الرسول الأكرم (ﷺ) في سنّته، وبين الأخلاق التي التزم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحرب

وبعبارة أخرى: كل من يطالع أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) يجدها تنتسب في جوهرها وروحها إلى القرآن والسّنة النبوية الشريفة.

وهناك ضرورة أخرى وهي حاجة المكتبة العسكرية الإسلامية إلى بحث يضطلع بالأخلاق العسكرية، وما أروع أن يكون ذلك البحث مختصاً بسيد الأوصياء والأتقياء الإمام علي (عليه السلام).

هدف البحث:

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) شخصية متعادلة، ولديه صفات كثيرة متقاربة من بعضها، ولاحظنا أن كثيراً من الأجلاء يركزون على شجاعة وقوّة الإمام (عليه السلام) في الحرب، ولا يبرزون باقي الجوانب الأخلاقية في الحرب، والتي لا تقل شأناً عن ذلك.

فإذن نحن نرمي من وراء بحثنا المتواضع إلى توجيه الأنظار إلى الجوانب الأخلاقية الأخرى في الحرب.

محتويات البحث:

يتكوّن البحث من: مقدمة، ومدخل، وبابين؛ حيث يختص الباب الأول ببيان أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في عصر الرسول الأكرم (ﷺ)، ويشمل هذا الباب ثلاثة فصول، ومباحث ومطالب كرّس البحث فيها على الغزوات والسرايا التي شهدها الإمام (عليه السلام).

أما الباب الثاني ، فقد تعهد بتوضيح أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في أثناء خلافته ، ويحتوي على ثلاثة فصول ، ومباحث ، ومطالب داخلة فيها ، وتركز البحث فيها على أخلاق الإمام (عليه السلام) في معارك : الجمل ، صفين ، النهروان .

وينتهي البحث إلى نتيجة فيها خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج.

منهج البحث :

اعتمدنا على المنهج التحليلي للمواقف التي رقّنها و قيدها الإمام (عليه السلام) في سجل الحرب ، ونلجأ أحياناً إلى المنهج المعياري لتقييم الأحداث وتحديد القيم المستلّة من كتب التأريخ .

مصادر البحث:

تشكل المصادر التأريخية زاد البحث في طي فصوله ، ولم تفوتنا الاستفادة من المصادر الأخرى، كالقرآن الكريم ، والمصادر الحديثية ، والرجالية ، والتفسيرية .

دعاء ورجاء :

وأخيراً نسأل الله تعالى أن تكون هذه البضاعة المزجاة مورد قبوله ، وأن ننال بذكرها لعلي (عليه السلام) ، ذكره لنا في الشفاعة عند الله جلّ وعلا .

والله ولي الإحسان والتوفيق

مدخل إلى البحث

قبل أن ندخل ميدان البحث لابد من تمهيد السبيل لهذا الموضوع وبيان حقيقة العلاقة بين الأخلاق والحرب، لنصل إلى مدى تأثير الأخلاق في الحرب ، ونفهم دور أمير المؤمنين في تحكيم الأخلاق عند سوح المعارك التي خاضها، وفيما يلي نتناول :

علاقة الأخلاق بالحرب

إنّ هناك دعوتين يمكن ملاحظتهما في عصر أمير المؤمنين ؛ حول العلاقة بين الأخلاق والحرب :

الدعوة الأولى : الفصل بين الأخلاق والحرب

إنّه لا قرابة بين الأخلاق والحرب ، فهما بناءً على هذا المسلك منفصلان عن بعضهما ، وتمارس فنون الحرب عندهم بعيداً عن أي خلق إسلامي ، ولو وجدت في الحرب أخلاق فهي الأخلاق العدوانية والمأخوذة من العرف الجاهلي ، حيث يستخدمون فيها كافة السبل من أجل الوصول إلى الأهداف التي خاضوا الحرب من أجلها ، فيستخدمون المكر والخديعة ، والتضليل ، والقتل للأبرياء ، بحيث أنهم يقدّمون صورة بشعة وقاسية للحرب وآثارها ، وهذه الصورة تمثلت في عهدين؛ **الأول**: العهد الجاهلي الذي أعلن العداء للإسلام من قبل المشركين والكافرين ، حيث مارسوا نقض العهود ، والحيلة والمؤامرات ضد الرسول (ﷺ) وأتباعه من المسلمين ، وقد كانوا لا يتورعون عن التحزب في سبيل النيل من المسلمين ، **العهد الثاني**: عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث ظهرت فئات ثلاثة جسدت فصل الأخلاق عن الحرب ، وكان أبرز فئة في ذلك هي فئة المارقين يتقدّمهم معاوية وعمرو بن العاص.

حيث قاموا بالتخلي التام عن أي قيم أخلاقية ، في سبيل الوصول إلى مآربهم من الملك والسلطة والجاه ، وسنأتي لاحقاً ـ إن شاء الله تعالى ـ لتوضيح تلك المواقف التي تنصلوا فيها عن الدين ، وكرعوا من كأس الدنيا الدنية ؛ ولم يلتزموا بالأخلاق الإسلامية ، ولا حتى ببعض الأعراف العربية التي تدعوا إلى العفة ، والترفع، والوفاء، وغير ذلك .

الدعوة الثانية: تبعية الحرب للأخلاق

بناءً على هذا التصور ؛ الأخلاق لها الأصالة ، والحرب وسيلة وأداة بيد الأخلاق من أجل الوصول إلى الأهداف العليا التي ينشدها الإسلام.

وتطرح الأخلاق في ميدان الحرب وتراعي الأدب والأعراف الإسلامية من عفو ، وتسامح ، ومداراة ، ومحبّة ، وشجاعة إلى غير ذلك ، وأهم شيء يلاحظ على هذا التصور مراعاته للتعاليم التي جسدها أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه الصالحين ، وقد بلغ بهم الأمر أن يراقبوا وقت الزوال من اجل أن يصلّوا ، والنبل ينزل عليهم كأنه المطر ، أو يعفو عن أعدائهم بعد أن وقعوا في قبضتهم ، وسنأتي على توضيح ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ ولا يلجأون إلاّ للوسائل التي أقرّها الدين الحنيف ، والتي تقربهم من الله تعالى ؛ حتى ولو كلّفهم ذلك خسارات الحرب الظاهرية ، وإنّما المهم هو انتصار المبادئ والقيم التي نادى بها الإسلام ، وسوف نأتي إلى هذه العلاقة وتوضيحها من خلال طي الفصول عبر مطالعتها ، وفهم تأثيرات الأخلاق على الحرب ، وهي كما يلي:

الباب الأول

أخلاق الحرب

عند

الإمام على (عليه السلام) فى عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

تمهيد:

قدم رسول الله (ﷺ)المدينة يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الأول ، وبعد سبعة أشهر من استقراره بدأت الغزوات الإلهية ، حيث عقد الرسول الأكرم (ﷺ) ، أول لواء لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان [١].

وبلغت مغازي النبي (ﷺ) والتي أشترك فيها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، أما سرايه التي ولّى فيها القيادة غيره ، فكانت سبعاً وأربعين سرّية [٢].

وقد كان نصيب الإمام علي (عليه السلام) في تلك الغزوات والسرايا الأوفر من بين المسلمين ، وشهد المشاهد كلها عدا تبوك [٣]، وكانت أول غزوة للإمام علي (عليه السلام) حمل فيها راية رسول الله (ﷺ) هي غزوة ودّان [٤] ، وآخر غزوة له ، كانت غزوة اليمن [٥]، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد التزم بالأخلاق الإسلامية التي أوصى بها الرسول (ﷺ) في أثناء دخوله المدينة ، ومساهمته في تلك المغازي ، وفيما يلي عرضاً للأخلاق العلوية النقية :

---

١ - المغازي: محمد بن عمر واقد ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس : ج١: ص٢.

٢ - المصدر نفسه: ج١: ص٧.

٣ - الإرشاد: الشيخ ابن عبد الله بن محمد بن محمد النعمان الملقب بالشيخ المفيد؛ تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث : ج١: ص١٣٠؛ الاستيعاب: يوسف بن عبد البرّ؛ تحقيق علي محمد البجاوي: ج٣: ص١٠٩٠، ص١٠٩٥، ص١٠٩٧؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة: العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير : ج٤: ص١٦؛ الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود: ج٤: ص٤٦٤؛ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي؛ تحقيق إبراهيم صالح: ص١٩٩.

٤ - الإرشاد: ج١: ص٧٩.

٥ - مغازي: الواقدي: ج٢: ص١٠٧٩.

الفصل الأول

أخلاق الحرب

في

غزوة ذات العُشيرة ، ومعركة بدر الكبرى ، وأحد

المبحث الأول: أخلاق الإمام علي في غزوة ذات العُشيرة جمادى الآخرة (٢هـ)

هذه الغزوة رغم أنها لم تسفر عن شيء يذكر على الصعيد الميداني، إلاّ أن وجود الرسول (ﷺ) فيها ومعه جمع من المسلمين، وانحدارهم إلى بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة يعطيها أهمية، حيث أقام الرسول الأكرم (ﷺ) شهراً وصالحهم [١]، وفي زمن هذه الغزوة تجلت لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) جملة من الأخلاق تمثلت بما يلي:

أولاً: الإمام علي (عليه السلام) يؤلف ويألف:

تغذى الإمام علي (عليه السلام) الأخلاق الاجتماعية من النبي (ﷺ) منذ أن كان صغيراً، حيث كان النبي (ﷺ) يلقنه دروس الأدب ويفرغها في وعاء قلبه ((**ووضعني في حجره وأنا ولد ، يضمني إلى صدره ويكنفي في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ... يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به**))[٢] ، وطبيعة الحياة آنذاك يترشح منها وجهاً عن الألفة الاجتماعية التي للإمام علي (عليه السلام) حيث رسم لنا عمار بن ياسر بعبارته " رفيقين " مدى الانسجام الاجتماعي القائم مع أترابه من المسلمين ، عن عمار بن ياسر، قال: ((**كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة من بطن ينبع**))[٣].

إن حديث ـ الصحابي الجليل ـ عمار بن ياسر يكشف النقاب عن وجود رابطة متقابلة بينهما مؤطرة ، أن يؤلفان ويألفان ، وهي طبيعة اجتماعية تنمو تحت ظلال الأخوة الإيمانية.

١- البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي: ج١: ص٣٠٢-٣٠٣؛ تحقيق مكتب تحقيق التراث.

٢- نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) : ترجمة محمد دشتي : الخطبة ١٩٢: ص٣٩٨.

٣- المصدر نفسه: ج١: ص٣٠٢؛ تاريخ الإسلام: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ج٢: ص٤٧؛ تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري.

ثانيا: العفوية والفطرة:

وهناك صفة أخرى يفوح أريجها من قراءة الرواية التي نثر لؤلؤها الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، وهي العفوية في طبعهما معاً والتي تلاصق الفطرة الصافية التي أودعها الباري تعالى في خلقه، فقد ذهبا معاً ليتطلّعا مليّا إلى عمل بني مدلج، والنظر إلى الطبيعة التي بثها بارئها لتكون من آياته الباهرة ، حيث أخذ كل من الإمام (عليه السلام) وعمار ينظران ببراءة إلى طبيعة الأعمال الزراعية التي يقوم بها أبناء تلك المنطقة، من دون أن يكون هناك هدف آخر ، كأن يكون عسكري، أو سياسي، أو ما شابه ذلك سوى الهدف العفوي، والذي يكتفي بالحدود الذاتية للأفراد وما تعكسه من ترويح عن التعب الذي ربما يرافق الأعمال العسكرية، فهما ينسلخان عن الوجه التسليحي للحرب، ويتجلببان لباس الفطرة التي خلق الله الناس عليها، ويشبعان روح الإطلاع والمعرفة لحياة قبيلة تعيش في ظل ظرف آمن.

ثالثا: الاطمئنان:

عندما يشعر الإنسان بالأمن، يظهر على قلبه ونفسه الاطمئنان، وأروع صورة للاطمئنان تلك التي رسمها الإمام علي (عليه السلام) ورفيقه عمار عندما كانا على مقربة من قبيلة مدلج وحلفائها، فقد تسلل النعاس إليهما من دون أن يكون هناك قلقاً أو اضطراباً يذهب بسكينة ألبابهم ، أو يعصف بهدوء خواطرهم؛ ولذا جاء النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بعد برهة ليقف على رأسيهما وليوقضهما، وبلغ بعلي (عليه السلام) الحال أن افترش الأرض لتكون مهداً، وما أن انتفض حتى بان التراب الذي لصق به تبركاً وتعلق به ليكون حليةً عليه، ووساماً يعلقه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) على وجه التأريخ " قم يا أبا

تراب "[1]، وينطق به الناس كنية له بعد أن كسى التراب ظهره الـذي يستريح لخشـن العيش.

المبحث الثاني: أخلاق الحرب عند الإمام علي (؏) في معركة بدر الكبرى في ١٧/ رمضان/ ٢هـ.

بعد أن حصلت عدة غزوات صغيرة قبل معركة بـدر، مثـل: غـزوة الأبـواء وبـواط، والنخلة في الفترة الواقعة بين الأشهر الأولى إلى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة حيث حصلت معركة بدر الكبرى [2]، بعد أن سعى المسلمون لقطع الإمدادات التجارية لقريش والتعرض لقافلتهم التي خلصت نجياً لقريش ، مما دعاهم إلى إعداد جيش قوامـه ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، وكان للإمام علي (؏) في هـذه المعركـة نعـوت انحنـت إليه متدلية ، وهي:

المطلب الأول: صدقه وأمانته

طبيعة الحرب تفرض أن يكون هناك معلومات أكيدة عن العدو تساعد المسـلمين في التعرف على ما يضمرونه من طريقة حربية، ومعرفة أعداهم وعِددهم، لأخذ الاحتياطات اللازمة والتدابير المضادة ، وقد انتدب الرسول الأكـرم (ﷺ) لهـذه المهمـة عـدد مـن الأشخاص يتقدمهم الإمام علي (؏) ، وذلك بعد أن توجه من المدينـة ، ورحـل مـن موضعي الدبّة والحنان ، حيث نزل قريباً من بدر [3] فلما أمسى بعث الإمام علي بن أبي طالب (؏) ، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصـحابه إلى بـدر يلتمسون له الخبر عليه ، قال بن إسـحاق: ((**حدثني يزيد بن رومان عن عـروة بـن**

١- الصحيح من سيرة النبي: جعفر مرتضى العاملي: ج٣: ص١٤١.

٢- منطقة بدر تبعد عن المدينة ١٥٥كم ، وعن مكة ٣١٠كم ، وعن ساحل البحر الأحمر ٤٥كم ، انظر: سبل الهدى والرشاد : محمد يوسف الصالحي الشامي؛ تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد : ج٤: ص١٢٠.

٣- الأغاني: أبو فرج الأصفهاني: ج٤: ص١٨٣.

الزبير: فأصابوا رواية لقريش فيها أسلَم غُلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاصي بن سعد، فأتوا بهما رسول الله (ﷺ) وهو يصلي))[1] ، وهذا الاختيار لم يكن أمراً عفوياً وعادياً ، بل كان مبنياً على معايير أخلاقية ، ولعل أهم هذه **المعايير** ، الصدق والوفاء، وقد كان الإمام علي (ع) قد استفاد من تجربة الحرب مع النبي (ﷺ)، فأوصى في عهده إلى مالك (رض) بذلك ((**وابعث العُيُون من أهل الصِّدق والوفاء عليهم**))[2]، ولكن ربما يسأل عن سبب اختيار هاتين الصفتين ؟

إن توفر صفة الصدق في الفرد المكلف بالمهمة تساعد الطرف المرسِل باتخاذ التدابير اللازمة والإجراءات المناسبة ، أما لو كانت المعلومات كاذبة تؤدي بالنتيجة إلى حسابات خاطئة ، وهو ما ينعكس سلباً على المسلمين .

وأما صفة الوفاء ، فهي الأخرى لا تقل في أهميتها عن سابقتها ؛ لأن مَن ضعف وفائه فقد ضعف وفائه عن دينه ،وربما قاده الضعف إلى التهاون في أمره، وهذا أيضاً ينتهي إلى عدم إتمام المأمورية الموكلة على الوجه المطلوب.

المطلب الثاني: إيثاره

استغرق المسير إلى عين بعد مضي ليل من رمضان قد حددها بعضهم بثماني ليال ، وبدأ المسير من نقب المدينة والعقيق وانتهاء بالدبة وبدر ، وكانت المراحل التي قطعها الرسول (الأكرم) (ﷺ) في خط جغرافي يحتوي على اثنا عشر موضعا [3]، والمؤرخون

١- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري: ج٢: ص٢٧؛ الأغاني: ج٤: ص١٨٤.

٢- نهج البلاغة للإمام علي (ع): ترجمة محمد دشتي: ك٥٣: ص٥٧٨.

٣- سيرة ابن هشام: عبد الملك بن هشام : تحقيق الشيخ محمد علي القطب : ج٢: ص٢٣٠.

بين مقلل ومكثر من المراحل [١]، ونظراً للإمكانات المتواضعة التي في حوزة المسلمين، فقد كان يتناوب كل ثلاثة نفر على بعير ((**ولما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم ويوم بدر عبّأ أصحابه ، فكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود ، وكان في عسكره سبعون جملاً كنوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد**))[٢].

والشيء الملفت في هذا المسير هو إيثار الإمام علي (عليه السلام) ومرثد في أن يكون الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو الراكب وهما يمشيان عنه ، وذلك الغاية في الإيثار، حيث إنهما يطويان مسيراً طويلاً ويحتاجان إلى الراحة، إلاّ أن الرسول الأكرم صاحب الخلق العظيم كان على تواضع كبير، ورغبة في كسب الأجر أجاب بمنتهى اللطف، فقال: ((**ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**))[٣].

وجدير بالذكر أن هذا الطلب إلى الرسول منهما لا يأتي إذا لم تكن هناك روح أخلاقية عميقة تنسى التعب عندما يكون في سبيل الله .

كما أن في مرافقة الإمام علي (عليه السلام) للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) دون غيره من الصحابة سوى مرثد صاحب الجمل تشير إلى العلاقة الوثيقة والأخوة الدائمة بينهما .

فالإيثار كان أحد الصفات التي جبلت عليها شخصية الإمام علي (عليه السلام)، منذ المراحل الأولى للحرب.

١- المواضع التي قطعها المسلمون في طريقهم إلى بدر هي : نقب المدينة ، العقيق ، ذي الحليفة ، اولات الجيش ، تربان ، كربان ، غميس الحمام ، صُخيرات اليمام ، السياله ، فجّ الروحاء ، شنوكة ، عرق الظبية ، الدبة ، انظر: سيرة ابن هشام : ج٢: ص٢٣٦.

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ج٤: ص٤٣٩.

٣- البداية والنهاية: ج٣: ص٣٦٩.

المطلب الثالث: شجاعته وبأسه

في يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة أخذ المسلمين مواقعهم ، ورتبوا صفوفهم ، وقريش بعتاتها اتخذت مكانها من الحرب في منطقة بدر، وكان العدد الفعلي للمسلمين يوم بدر موزعاً على طائفتين المهاجرون وعددهم سبعة وسبعين رجلاً، والأنصار وكان عددهم مائتين وستة وثلاثون رجلاً[١] ، ودفعت راية المسلمين لأشجعهم ، عن ابن عباس ، قال: ((**دفع رسول الله (ﷺ) الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين**))[٢]، وهناك من يجعل للمسلمين رايتين راية رسول الله(ﷺ) وكان صاحبها الإمام علي (ع) ، وراية الأنصار وصاحبها سعد بن عبادة [٣].

إلاّ أن الذي يهمنا في المقام أن علي (ع) قد أثبت شجاعته وبأسه في الحرب فكانت حصته الكبرى في القضاء على المشركين منذ اللحظات الأولى للمعركة بعد أن دعا عتبة بن ربيعة للمبارزة فخرج ، وخرج علي وحمزة وعبيدة لمبارزة من خرج من المشركين ، وكان عتبة أول قتيل منهم بيد علي (ع)، وما أن بدأ الهجوم العام واصطكت السيوف بين النفيرين، حتى بدأ الإمام علي (ع) حصاده بسيف لا يخطئ موضع القتل، بضرب لا يمهل الغريم أن يتقيه، وليس هذا فحسب، بل يستشف من سير العمليات أن الإمام علي قد عجنت التقوى في سويداء قلبه والتقت مع حماسة الشباب، فكان خليقاً في ((**أنه قتل سبعة وعشرين مبارزاً وفي الإرشاد قتل خمسة**

١- تاريخ الطبري: محمد بن جرير: ج٢: ص٢٥.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: ج٣: ص١١٠٧.

٣- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري: ج٢: ص٢٥.

وثلاثين، وقال زيد بن وهب: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وذكر حديث بدر (وقتلنا من المشركين سبعين وأسرنا سبعين))[١].

وما أن انجلت غبرة المعركة ، حتى كان من الإمام علي (عليه السلام) أكثر مما كان من أصحابه، فهو يأسر فريقاً من المشركين ويقتل آخرين، وقد ذكر الإمام (عليه السلام) بصورة إجمالية صولته في قتل ((**جحاجحة قريش في ذلك اليوم وسوى من أسرت، وكان منّي أكثر مما كان من أصحابي**))[٢].

وقد شهد بشجاعة الإمام (عليه السلام) ((**المرزباني في كتابه أشعار الملوك والخلفاء: أن علياً أشجع العرب، حمل يوم بدر وزعزع الكتيبة ، وهو يقول:**

لن يأكلوا التمر بظهر مكة   من بعدها حتى تكون الركة))[٣].

ويضاف إلى ذلك أن الأمة اجتمعت ((**على أن السابقين إلى الجهاد هم البدريون، وأن خيرة البدريين عليّ**))[٤].

وعليه يتضح أن الإمام (عليه السلام) قرين الشجاعة والبأس، ويؤيد ذلك ثورته وشدته على أعدائه في مشاهده كلها.

المطلب الرابع: صمته وهدوءه

لقد كان عمر الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر لم يذرف على العشرين ربيعاً، ومن خلال تتبع السِّيَرَ والمغازي لعصر البعثة النبوية، يلاحظ صفة بارزة توازي إلى حد صور البطولة التي يجسدها الإمام (عليه السلام)، وتلك الصفة هي الصمت الذي يطبق على صوته ،

١- مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السّروي المازندراني: ج٣: ص١٤٤.

٢- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي: ج٣٨: ص١٦٩.

٣- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣: ص١٤٤.

٤- المصدر نفسه: ج٤: ص٧٨.

والهدوء الذي يحيط بنفسه، والذي يضفي على شجاعته هيبة تنخلع منها القلوب ، فالذي يناجز علي (ع) يرى سيفاً سريعاً مفلقاً للهام ، ويبصر هدوءً كبيراً كأنه الموت الذي يخرس الألسن، ولم نجد من خلال مراجعتنا المتواضعة لكتب السيرة والتأريخ أن أحداً يذكر أن علياً (ع) كان في بدر على غير هذا الهدوء الملائكي سوى تلك التي قال فيها لعمه حمزة عندما احتضن شيبة ((**يا عم طأطئ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه عليّ فطرح نصفه**))[١].

إن علياً (ع) قد وعى التجربة ، وأخذ يلقنها ويلقيها على مسامع جيشه في أن يتمتعوا بالصمت ويرسموا على خطواتهم الوقار ((**وأميتوا الأصوات، فأنّه أطرَدُ للفشل**))[٢].

المطلب الخامس: جده ونجدته

ما أن بدأت معركة بدر حتى رأى الجمعان جد علي (ع) ونجدته الأولى لحمزة على شيبة فقتله [٣]، ونجدته الثانية مع حمزة على عتبة بن ربيعة فدفعها عنه ، ونجدته الثالثة أن احتملا عبيدة فحازاه إلى الصف[٤] ، وهكذا استمر الإمام علي (ع) بجده يجندل الأبطال حيث ((**بارز أمير المؤمنين (ع) العاص بن سعيد بن العاص ، بعد أن أحجم عنه من سواه، فلم يلبّث أن قتله، وبرز إليه حنظلة ابن أبي سفيان فقتله، وبرز بعده طُعيمة بن عدي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد ــ وكان من شياطين**

١- المصدر نفسه: ج٣: ص١٤٣.

٢- نهج البلاغة للإمام علي (ع): ترجمة محمد دشتي: الخطبة ١٢٤: ص٢٣٤.

٣- مناقب أل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣: ص١٤٣.

٤- السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: ج٢: ص٢٤٢؛ المغازي: محمد بن عمر الواقدي: ج١: ص٧؛ الأغاني: ج٤: ص١٩٢.

قريش ــ ولم يزل (عليه السلام) يقتل واحداً منهم بعد واحد ، حتى أتى على شطره المقتولين منهم ، وكانوا سبعين قتيلاً ...))[١].

ولكن قد يسأل أين هو الجد عند الإمام علي (عليه السلام) تحت غمار هذه الحرب ؟ إن الجد يلاحظ من خلال مبارزته من واحد لآخر، بحيث لا يرى له هوادة وهدأة ونستطيع أن نعرف جد الإمام علي (عليه السلام) بأن نطرح ما يغاير السؤال الآنف الذكر ، ونقول: أين هو الفتور والضعف عند الإمام علي (عليه السلام) في معركة بدر أو غيرها؟

وعلى البديهية يتبادر لذهن أي منصف أن لا وجود للضعف والفتور في محاولات علي (عليه السلام) الميدانية.

أما نجدته فقد أشرنا إلى جزء منها صدر هذا العنوان، وقد ذكر الواقدي في مغازيه، بأن ((**من قتله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً**))[٢]، حيث أشترك في قتل أربعة نفر من المشركين نجدة لآخرين.

إن روح النجدة تتأتى عندما يحس المرء من نفسه الثبات ورباطة الجأش ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يريد من أتباعه أن يهبوا لنجدة إخوانهم الذين وجههم الفشل إذا رأوا في البين من حام حوله الضعف فيذبوا عنه ، كما يذبون عن أنفسهم ((**وأيُّ أمريءٍ منكم أحسَّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحدٍ من إخوانه فشلاً فليذُبَّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضِّل بها عليه، كما يذُبُّ عن نفسه**))[٣].

لقد كان للإمام (عليه السلام) نجدة في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك الأخرى، حيث عهد الناس منه النجدة في الحرب ((**قال سعيد بن عمرو [بن سعد] بن العاص:**

١- الإرشاد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي: ج١: ص٦٩.

٢- المغازي: الواقدي: ج١: ص١٥٢.

٣- نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣: ص٢٣٤.

قلت لعبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة: يا عم، لو كان صَغْو الناس إلى عليّ ! فقال: يا ابن أخي ، إنّ علياً (ع) كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة ... والنجدة في الحرب))[1].

المطلب السادس: الإمام (ع) يحقق دعاء الرسول(ص)

حضر رحى معركة بدر رؤوس الشرك نظير، عمرو بن هشام الملقب بـأبي جهـل، وأمية بن خلف، ونوفل بن خويلد وغيرهـم ، وحينمـا عـرف الرسـول (ص) حضـور نوفل بن خويلد بدراً ، قال: ((**اللهم أكفني نوفلاً**)) ، فلما أنكشفت قـريش رآه علـي بن أبي طالب (ع) وقد تحيّر لا يدري ما يصنع، فصمد له، ثم ضربه بالسيف فنشـب في جحفته فانتزعه منها، ثم ضرب به ساقه ـ وكانت دِرعه مُشَمَّرة ـ فقطعهـا، ثـم أجهـز عليه فقتله، فلما عاد إلى النبي (ص) سمعه يقول: ((**مَن له علم بنوفل ؟ فقال له: أنـا قتلته يا رسول الله ، فكبر النبي (ص) وقال: الحمد لله الـذي أجـاب دعـوتي فيه**))[2].

دعوة الرسول الأكرم (ص) رفعت إلى السماء، ثم هبطت الإجابة من المحـل الأرفـع لتجد نفسها مستجابة على يد الإمام علي (ع) ، ومن حكمت القـدر أن يقتـل هـذا العتل الزنيم على يد هذا البطل الكريم، وأن يقتل على ثلاث ضربات موجعة تتناسب وما كان يلاقيه الرسول (ص) والمسلمون منه، وعلى ذلك جرت سنة القضاء في أعـداء الله.

١-الاستيعاب في معرفة الرجال: ج٣: ص١١٠٧.

٢ - الإرشاد: محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد: ج١: ص٧٦-٧٧.

المبحث الثالث: أخلاق الامام في معركة أحد / ٧ / شوال / ٣هـ.

بعد انتهاء معركة بدر الكبرى، وقعت معارك صغيرة ، كمعركة السويق ، وذي أمر ، وقينقاع ، وسرية زيد بن حارثة إلى القردة[١] ، ولم تتعرض المصادر التأريخية إلى دور الإمام علي (ﻹ) في تلك المعارك، كما أنها لم تذكر تلك المعارك بصورة كافية، بحيث تذكر الوقت والشعار وأسماء الذين اشتركوا في الغزوة سوى نفر قليل لا يغني من يريد الاستزادة، بشكل مفصل، بل اكتفت بإعطاء لمحة موجزة وقصيرة عنها من دون أن تذكر المزيد عنها بما يكتنفها من الأمور الجزئية التي يتجلى من خلالها للمتتبع خصائص ومواقف كل فرد اشترك فيها على حده أو مع المجموعة.

أما معركة أُحد التي أرادت منها قريش أن تكون معركة ثأرية في مقابل ما وتروا به في بدر الكبرى ((**فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة، وألا يفروا**))[٢].

وكان على رأسهم وقائدهم أبو سفيان بن حرب وكان العدد الذي أعد من قبل قريش ثلاثة آلاف ومثلهم عدداً من البعير إلى دون ذلك من الخيل ، وكانت قريش في هذه المرّة متأهبة للحرب والضرب و ((**خرج رسول الله (ﷺ) في ألف من أصحابه**)) [٣]، وما أن أستقر الجيشان في عدوة وادي جبل أحد حتى بدأت ساعات الحرب تقترب ، وعندما بدأت حرارة الحرب تستعر كان لعلي (ﻹ) أخلاق بارزة وهي ما يلي:

---

١ - للمزيد من الإطلاع انظر: سير ابن هشام: ج٣: ص٤٠-٤٦؛ طبقات ابن سعد: ج١: ص٣٦٥-٢٧٠.

٢- السيرة النبوية: ابن هشام : ج٣: ص٥٧.

٣- المصدر نفسه: ج٣: ص٥٨.

المطلب الأول: ينتخب ويذب

ما الذي ينتخبه علي (عليه السلام) في معركة أُحد ؟ وعن ماذا يهب ويذب ؟ لقد بدأت الحرب فذهب الإمام (عليه السلام) إلى أشجع فرسانها كطلحة وغيره من بني عبد الدار الذين سقطوا واحداً تلو الآخر ، فعلي (عليه السلام) ينتخب الأهداف الحيوية في المعركة من أولي القوة والبأس ((**وقتل الله بسيفه رؤوس الشرك والضلال**))[١] ، وقد ((**كان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة كلهم قتلهم علي (عليه السلام) عن آخرهم ، وانهزم القوم وبارز الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها**))[٢]، وقد ذكر القمي في تفسيره كيفية سقوط أصحاب اللواء يوم أُحد تحت وطأة سيف علي (عليه السلام)[٣] ، وصرفنا عنها القلم تحاشياً للإطالة والتكرار.

أما الإجابة عن الشق الثاني من السؤال فإن (الإمام) علي (عليه السلام) كان يذب عن الإسلام بكل ما أوتي من قوة، فهو يهب كالريح العاصف التي تأتي على قواعد أبنية الشرك فتهدها، فالإمام (عليه السلام) عندما ينتخب الأهداف الحيوية يريد أن ينهي وجود هؤلاء الأشرار الذين يقفون حجر عثرة أمام تقدم الإسلام، وبالقضاء عليهم يحقق للإسلام فرصة في التقدم في سبيل إيصال الدين الذي وصى به الله تعالى إلى خلقه.

١- الإرشاد: ج١: ص٧٨.

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة: العلامة أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي: ج١: ص١٩٥.

٣- تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي: ج١: ص١١٣.

المطلب الثاني: دقّة الملاحظة والتركيز

قد يكون للحرب وضجيجها ما يدعو إلى تشتت الأبصار، أو يفتقد بعضهم الصواب، أو استجماع ما استهلك من حضور ذهني، إلاّ أن علي (عليه السلام) كان له دقته في الملاحظة مما يدل على حضوره الذهني، وسيطرته على ميدانه النفسي.

قال علي: ((لما كان يوم أُحد وجال الناس تلك الجولة أقبل أُمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وهو دارع مقنّع في الحديد، ما يُرى منه إلاّ عيناه، وهو يقول: يوم بيوم بَدْر، فيعترض له رجل من المسلمين فيقتله أُمية، قال علي (عليه السلام) : وأصمد له فضربته بالسيف على هامته ، وعليه بيضة وتحت البيضة مغفر فنبا سيفي ، وكنت رجلاً قصيراً، ويضربني بسيفه فأتقي بالدرقة، فلحج سيفه فضربته ، وكانت درعه مشمّرة فأقطع رجليه، ووقع فجعل يعالج سيفه حتى خلّصه من الدّرقة ، وجعل يناوشني وهو بارك على ركبتيه، حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فأدخلت السيف فيه، فمال ومات وانصرفت عنه))[1].

لاحظ كيف، أن الإمام عليّ (عليه السلام) يصف جولان الناس في معركة أُحد، وكيف يشخص عدوه وهو مقنّع لا يرى منه شيء عدا عيناه ، فبصر به علي (عليه السلام) وسمع ما يقول قبل أن يجهز على أحد المسلمين ، والإمام كان له عقل وبصيرة تلتقط كل شيء لقطا، فيصف ما جرى منهما من مواقع الضرب والمكافحة إلى غير ذلك، حتى نظر إلى ذلك الفتق فأدخل فيه السيف ، إن هذه القدرة العالية من التركيز والملاحظة لها مدخل كبير في معرفة الفنون العسكرية.

١- المغازي: الواقدي: ج١: ص٢٧٩؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي: ج١: ص١٩٥.

ومما تقدم في هذه الصفة يعرف أن الإمام (عليه السلام) يصف أحداث المعركة كاملة غير منقوصة ، والأهم من ذلك أن لديه قدرة عالية في الملاحظة والتركيز تجعله يهيمن على منافذ الضعف في خصمه.

المطلب الثالث: طوية طاهرة

امتلاك الإنسان للصحة النفسية أولنيّة طاهرة ، إنما يكون عندما ينشأ في ظل بيت بني على التقوى ، وعلي (عليه السلام) قد نشأ في كنف أزكى رجل عرفه التأريخ ((**كان رسول الله يمضغ اللّحمة والتّمرة حتى تلين ، ويجعلها في فم علي (عليه السلام) ، وهو صغير في حجره**))[1]، ((**فربّي في حجر النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يفارقه**))[2].

فاللبنة الأولى والأخيرة في البناء النفسي والأخلاقي لعلي (عليه السلام) كان قد تعهدها الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن هنا كان لعلي (عليه السلام) خصوصيات أخلاقية فاق بها من عداه سوى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) .

وفي معركة أُحد طلع طلحة بقرنه منادياً جميع المسلمين ((**وصاح طلحة بن أبي طلحة: من يُبارز ؟ فقال علي (عليه السلام): هل لك في البراز ؟ قال طلحة: نعم ، فبرز بين الصّفّين، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس تحت الراية وعليه درعان ومغفر وبيضة، فالتقيا فبدره علي فضربه على رأسه، فمضى السيف حتى فلق هامته، حتى انتهى إلى لحيته، فوقع طلحة وانصرف علي (عليه السلام) : فقيل لعلي: ألا ذفّفت عليه ؟ قال:**

١- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج١٣: ص١٩٩.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: ج٤: ص٤٦٤.

إنّه لما صُرِع استقبلني عورته فعطفني عليه الرحم))[1] ، ولقد صرف الإمام (عليه السلام) سيفه عنه لأنه لم يكن يحمل في نفسه شيء من الضغن عليه ، ولم تكن به ثورة الغضب حتى يجهز عليه.

نعم ، لقد كان علي (عليه السلام) صحيح السريرة، فلم يؤاخذ طلحة بالجريرة التي قادته إلى منقلب السوء، وعفى عنه تعالياً في أخلاقه فانصرف عنه لصفاء قلبه.

المطلب الرابع: ثأره لأحد المسلمين

كان علي (عليه السلام) هو حامل لواء المسلمين بعد أن أستشهد مصعب بن عمير، وفي أثناء المعركة شاهد أحد المشركين ممتطياً جواده، ورافعاً سيفه وقد أنزله على ذكوان بن عبد القيس ليلقيه على الأرض صريعاً، وعندئذ انطلق علي كالسهم نحوه فقطع منه رجله بسيفه ثم يكمل الصولة عليه فيطرحه من فرسه ليقضي عليه، ويتفحص ضحيته فإذا هو أبو الحكم بن الأخنس بن شريف بن علاج [2].

إنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) أخذ بثأر ذكوان قبل أن يجف دمه أو يواري الثرى ، وأبت نفسه الشريفة أن يرى عدوه الذي قتل أحد المسلمين دون أن يقاتله.

المطلب الخامس: مواليا ومواسيا

إن الإمام علي (عليه السلام) كان يعرف شيئاً واحداً ، يغني عن جميع ما سواه ، وهو أنه لا يرد على الله ولا على رسوله ، ولو دون اللحظة من الوقت ، وهذه هي الموالاة الحقيقية ، ومن أراد فليتأسى من فيضها ((**ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)**

١- المغازي: الواقدي: ج١: ص٢٢٦؛ نحوه تفسير القمي: ج١: ص١١٣؛ الإرشاد: ج١: ص٨٦؛ مناقب آل أبي طالب: ج٣: ص١٤٨؛ بحار الأنوار: المجلسي: ج٤١: ص٥٠.

٢- المغازي: الواقدي: ج١: ص٢٨٣.

أنّي لم أرُدَّ على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكُصُ فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام))[١].

في معركة أُحد وبعد أن انهزم الناس ، ولم يثبت مع الرسول (ص) سوى عليّ (ع) ونسيبة المازنية التي أتت لتداوي الجرحى وأبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة وسهل بن حنيف [٢]، وثبت الإمام (ع) فقال له الرسول (ص) **((ما لك لا تذهب مع القوم ؟ فقال (ع): أذهب وأدعك يا رسول الله ؟ والله لا برحت حتى أقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النّصر، فقال النبي (ص) : أبشر يا علي فإن الله منجز وعده ، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً))**[٣].

وحمل المشركون على المسلمين واستعقبوهم فركبهم السيف من كل جانب و ((أبصر رسول الله (ص) وآله **جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم، فحمل عليهم ؛ ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمحيّ، قال: ثم** أبصر رسول الله (ص) **جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ: أحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤيّ، فقال جبريل:** يا رسول الله، **إنّ هذه للمواساة، فقال رسول الله (ص) : إنّه منّي وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما))**[٤].

١- نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧: ص٤١٢.

٢- تفسير القمي: ج١: ص١١٥؛ الإرشاد: ج١: ص٨٣

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي: ج١: ص١٩٥.

٤- تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري: ج٢: ص٦٥؛ نحوه في تفسير القمي: ج١: ص١١٦؛ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣: ص١٤٩.

ومما سبق يظهر أن علي (عليه السلام) جلى الكرب عن النبي (صلى الله عليه وآله) وواساه بنفسه في أشد الظروف على النبي (صلى الله عليه وآله) .

المطلب السادس: علي مثخن بالجراح

الدخول في ميدان الحرب ربما يأخذ من الأجسام الأرواح، أو يدفع الإنسان ضريبة أخرى ، كأن يثخن بالجراح أو يفقد من بدنه شيئاً عزيزاً ، وكان علي عندما يدخل المعركة تنفرج له الصفوف من سطوته وقدرته، ودخوله في سجل الحرب أدى إلى أن يصاب بجراح متعددة ، وجالدها بصبره وإيمانه ((**قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول: أصابني يوم أُحد عشر ضربات سقطت إلى الأرض في أربع منها**))[1].

كان بعض هذه الإصابات قوية وبليغة لم يقوى عود علي (عليه السلام) الصلب من النهوض بها ، وربما كان لعدد الإصابات المتعددة التي وشمت جسم علي (عليه السلام) مجتمعة لها تأثيرها في إنهاك الجسم ، وقد توزعت جروح الإمام (عليه السلام) في مناطق مختلفة من بدنه الشريف كالرأس والصدر وغير ذلك، ((**فلم يزل أمير المؤمنين (عليه السلام) يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه**))[2].

إنّ هذه الأوسمة التي صافحت تضحية الإمام (عليه السلام) تشير إلى ضراوة القتال، وقساوة تلك الضربات التي خطت بالسيوف والرماح والنبال حاملة معها الألم للبدن ومخلفة بعدها عظيم الأجر في الآخرة وذلك ما كان يبتغيه الإمام من اقتحامه الحرب ولججها المظلمة .

أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) من أحد ((**وقد خضب الدم يده إلى كتفه ، ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة (عليها السلام) وقال خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم ، وقال:**

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج١: ص١٧٩.

٢- تفسير القمي: ج١: ص١٩٥.

أفاطــم هــاك السيــف غير ذميــم	فــلست برعــد يد ولا بــملــيم
أميــطــي دماء الــكفر عــنه فــإنه	سقا آل عبد الدار كـأس حــميم
لعمري لقد أعذرت في نــصر أحــمد	وطــاعــة ربٍ بالــعباد عــليــم

وقال رسول الله (ص): خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليــه))[1]، وهكـذا نشاهد إن الجروح التي أصيب بها الإمام (ع) في أُحد هي نتيجـة طبيعيـة لصـدقه في القتال.

المطلب السابع: تضميده وفاطمة (ع) لجروح الرسول (ص)

إن النبي وعلي (ع) كانا قد دخلا وسط المعركة فأحيط بهم ودافعوا دفاعاً مستميتاً كلفهم أن يخرجوا من الحرب بإصابات مختلفة ، وكادت كتائب المشركين أن تطبق عليهم لولا رعاية الله تعالى لهما .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وكلّ قد ذهب لشأنه ، وأمّا علي (ع) فكان شأنه أن يرافق الرسول ويضمد جراحه ، رغم أنه كان مثخناً بالجراح، إلاّ أن رسول الله (ص) كانت فيه جروح بليغة في مناطق حساسة من بدنه الشـريف ((جُـرحَ وجـهُ رسـول الله وفاطمة تغسل الدم ، وكان علي (ع) يسـكب عليـه المـاء بـالمجنّ ، فلمـا رأت فاطمـة (ع) أنّ الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتـى إذا صـار رمـاداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم [2].

---

١ - كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي: ج١: ص١٩٦.

٢- دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: ج٣: ص٢٦٠؛ نحوه في تاريخ الإسلام: شمس الـدين الـذهبي: ج٢: ص١٩٠.

المطلب الثامن: الإمام علي (﵇) يزور شهداء أحد

إن الإمام علي (﵇) الوفي لصحبه الذين صدقوا العهد فبذلوا أنفسهم في جنب الله ، فهو يزورهم مهما تباعدت السنين أو تلت أحداث أخرى ، لقد كانوا أوفياء يقاتلون إلى جانب الرسول (ﷺ) إلاّ أن الشهادة أصبحت من نصيبهم بعد رحلوا مخضبين بدم الشهادة.

إن زيارة الإمام (﵇) تختلف عن غيره، فهو شاهد بعينه هؤلاء الشهداء الأشداء وهم يحملون على أعدائهم، وشاهدهم كيف سقطوا على الأرض.

والآن يزورهم بعد كل ما جرى من بعدهم، فلاشك أن صورهم كانت شاخصة و حاضرة عنده ، كيف كانوا، وأين نزلوا، ويأتي الإمام زائراً ومسلماً بعد أن عرفهم في أيامهم الماضية، وجاء عارفاً بصدقهم وحقهم، وعندما سلّم الإمام أجيب عليه من الشهداء. نعم لقد كان الإمام (﵇) في أُحد على مقدمتهم ومرتبتهم في البذل والتضحية إلا أنه تأخر عنه كتابه لأجل كان عند الله معلوماً ويكرر الإمام سلامهُ عليهم ثلاث مرات ويأتيه الجواب من إخوانه الشهداء.

نعم إنه سلام الحي على الحي وسلام الشهيد السابق على الشهيد اللاحق ((**عمر بن علي يقول: أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين طلوع الفجر والشمس وكنت أمشي خلفه، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته، فقال: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدّار، قال: فأجيب، وعليك السلام يا أبا عبد الله، قال: فالتفت أبي إلي، فقال: أنت المجيب يا بُنيَّ ؟ فقلت: لا، قال: فأخذ بيدي فجعلني عن يمينه، ثُمَّ أعاد السلام عليهم، ثمّ جعل كلما سلّم عليهم يردّ عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، قال فخرَّ أبي ساجداً شكراً لله عز وجل**))[1] .

١ ـ دلائل البيهقي: ج ٣ : ص ٣٩٣

المبحث الرابع: أخلاق الحرب عند الإمام (ع) في غزوة بني النضير ربيع الأول سنة ٤هـ

كان لليهود موقف عدائي دائم للإسلام وأهله، ولم يتغير هذا الموقف من قبلهم، وبعد معركة أحد أخذ يهود بني النضير يتحينون الفرصة لإثارة الفتن، وكان لهم موقفاً متردداً من دفع ديّة العامريين الذين قتلا من قبل عمرو بن أمية على الرغم من أنهم يعلنون أنهم سيقومون بدفع الديّة بحسب الاتفاق المبرم بينهم من جهة وبين بني عامر والرسول من جهة أخرى ، وجاء الرسول ورحبوا به ، إلا أنهم كانوا يحيكون مؤامرة للقضاء على الرسول (ﷺ) فعرف الرسول ما خططوا له من القتل له غيلة وغدراً فتهيأ المسلمون لحربهم [١] .

فتحصنوا وحاصرهم الرسول ست ليال، وانتهت هذه الغزوة بإجلائهم إلى خيبر وحقن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموال [٢]

وقد كان لعلي(ع)أخلاق حربية ساهمت في فت عضد بني النضير وهي ما يلي:

المطلب الأول: كمين وكتمان

بعد أن وصل الرسول إلى بني النضير ورأى منهم تحصنهم، استعمل علياً (ع) على العسكر. وبات المسلمون يحاصرونهم، وصلّى النبي بفضاء بني النضير، وجعلوا يرمونهم بالنبل والحجارة، وكان بين بني النضير رجل منهم يقال له عزْوك ، وكان أعسر راميا، فرمى فبلغ نبله قبة النبي(ص)، فأمر بقبته فحُوّلت بعيداً عن مرمى نبله [٣]

---

١ ـ السيرة النبوية: ابن هشام: ج٣ : ص ١٧٢ـ١٧٣

٢ ـ المصدر نفسه.

٣ – مغازي : الواقدي: ج١ : ٣٧١.

((فلما كان ليلةٌ من الليالي فقد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حين قرب العشاء، فقال الناس: ما نرى علياً يا رسول الله. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعوه، فأنه في بعض شأنكم.فلم يلبث أن جاء برأس عزوك، فطرحه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله): فقال: يا رسول الله أني كمنتُ لهذا الخبيث فرأيت رجلاً شجاعاً، فقلت، ما أجرأه أن يخرج إذا أمسينا يطلب مناغرَّة فأقبل مصلتاً سيفه في نفر من اليهود، فشددت عليه فقتلته))[1]

في هذه المأمورية الاستثنائية يذهب الإمام علي (عليه السلام) لوحده ودون علم المسلمين وفي ظل تكتم شديد افتقد المسلمون الإمام(ع)وأجابهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنه **((في بعض ما يصلح شأنكم))** فالإمام خرج بعلم من الرسول، أو الرسول يعلم بأن علي (عليه السلام) لا يخرج إلا بما فيه صلاح ولكون الأمر خطير وعسير، فقد خرج الإمام (عليه السلام) ليقوم بكمين فردي وسري لينفذ الأمر على أكمل وجه، وبالفعل فقد أتي بذلك الرجل اليهودي الذي أزعج الرسول وأقلق المسلمون، ليضعه بين يدي الرسول الأكرم وليوضح طبيعة هذه المأمورية الخاصة وكيفية القضاء على عدوهم.

المطلب الثاني: همة ومهمة

لم يكتف الإمام بما قام به من عملية بطولية في قتل ذلك الرامي الذي كان يترصد ويتصيد، وإنما دفعته همته وغيرته على الدين وأهله أن يقترح على الرسول (صلى الله عليه وآله) القيام بمهمة جديدة تحتاج إلى عدد من المسلمين للقضاء على مجموعة من يهود بني النضير كانوا برفقة عزوك خارج الحصن، وكانت تلك المهمة تحتاج إلى سرعة في التنفيذ، فلابد أن تتم قبل أن يدخلوا الحصن. وبالفعل نفذ الطلب **((فإن بعثتَ معي**

١ ـ مغازي : الواقدي : ج١ : ص٣٧٢ ، ونحوه في الإرشاد: ج١ : ص ٩٢ – ٩٣ ؛ وكشف الغمة في معرفة الأئمة : الأربلي: ج١ : ص٢٠١.

نفراً رجوت أن أظفر بهم، فبعث معه أبا دجانة، وسهل بن حنيف في عشرة من أصحابه، فأدركوهم قبل أن يدخلوا حصنهم، فقتلوهم وأتوا برؤوسهم، فأمر رسول الله (ﷺ) برؤوسهم فطرحت في بعض بئار بني خَطْمَة))[1]

وكان لهذه المهمة الناجحة دور في كسر شوكة بني النضير، ولولا همة الإمام (ع) لبقي المسلمون تحت رحمة نبل عزوك ومجموعته، ولدام أمد الحصار عليهم دون أن ينزلوا إلى حكم الرسول إلى أجل غير معلوم.

---

١ ـ إمتاع الأسماع : تقي الدين احمد بن علي المقريزي، ج/١ ص٢٢٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ـ١٤٢٠هـ

الفصل الثاني

أخلاق الحرب

في

معركة الأحزاب ، وغزوة بني قريظة ، وذات السلاسل ، وبني المصطلق ، وبني سعد بفدك

المبحث الأول: أخلاق الامام في معركة الأحزاب في شوال سنة ٥ هـ.

هذه المعركة بدأ الإعداد لها من شوال سنة خمسة للهجرة على رأي أكثر المؤرخين[١]، وكان لليهود الدور الأساسي في التعبئة لها، فبعد إجلاء بني النضير الاضطراري إلى خيبر تحرك رؤوس اليهود في سبيل استئصال شأفة الإسلام ((**فخرج سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي من الأوس، وأبو عامر الراهب في بضعة عشر رجلاً إلى مكة يدعون قريشا وأتباعها إلى حرب الرسول** (ﷺ)))[٢] وأجرى اليهود اتصالات مكثفة مع قبائل غطفان التي تسكن نجد،، كما إن قريش هي الأخرى راسلت حلفائها من بني سليم، وتحركت غطفان إلى حلفائها من بني أسد فاستجابت تلك القبائل بعضها لبعض حتى ألفوا جيشاً كبيراً من حيث العدة والعدد ((**وكانوا جميعاً عشرة آلاف**))[٣].

المسلمون بدورهم قاموا بحفر خندق حول المدينة بعد أن أشار سلمان الفارسي بذلك فأصبح كالحصن للمدينة ((**وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف**))[٤]. وكان المسلمون يخشون بني قريظة لنقضهم العهد، ومجاهرتهم بالعداوة والغدر، ولكونهم يسكنون بمحاذاة المسلمين في المدينة.

وبعد أن وصل المشركون واليهود ووجدوا الحصن ؛ حاصروا المسلمين لمدة تتراوح بين (١٥_٣٠)يوماً وفي أثنائها جرت محاولات لاقتحام الحصن إلا أنها باءت بالفشل وكان للدور الذي لعبه نعيم بن مسعود الأشجعي أهمية كبيرة في تخذيل الأحزاب

---

١ -دلائل النبوة : البيهقي: د٣: ص٣٩٣.

٢ ـ إمتاع الأسماع: ج ١ : ص٢٢٤.

٣ ـ المصدر نفسه: ج١ :ص٢٢٥.

٤ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٢٢٩.

واختلافهم إضافة إلى الريح العاتية التي سخرها الله عليهم بعد دعاء الرسول عليهم، وعادت تلك الأحزاب وقد فلّ جمعها تساورها الشكوك من بعضها لبعض.[1]

وهذه الغزوة توسطها موقفاً لامعاً يستحوذ على أكثر مشاهدها يكاد سنا برقه يخطف الأبصار، وكان الحظ فيه لعلي (عليه السلام) الذي دانت له الأخلاق ، وهي ما يلي:

المطلب الأول: طاعة وشجاعة

حاول بعض نفر من المشركين اقتحام الخندق فأقحموا خيلهم من مكان ضيق وعبر عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبدا لله المخزومي ، وضرار بن الخطاب ، وعمر بن عبد ود وغيرهم ((**فدعا عمرو بن عبد إلى البراز ــ وكان قد بلغ تسعين سنة ، وحرم الدهن حتى يثار بمحمد وأصحابه**))[2]. وأخذ يجول بفرسه على مرأى ومسمع من المسلمين وكان الإمام (عليه السلام) في كل مرة يقوم ويقول: ((**أنا لها يا نبي الله. فقال**: **إنه عمرو**)) وكرر عمرو نداءاته على المسلمين، ووصل به الحد أن يقول للمسلمين ساخراً: ((**أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها**))[3] وبلغ به الصلف والجرأة على المسلمين أن نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححتُ من النداء	**بجمعكم هل من مبارز**
ووقفت إذ جبُنَ المشجّعُ	**موقف القرن المناجزْ**
ولذاك إني لم أزل	**مُتسرّعاً قبل الهزاهزْ**
إن الشجاعة في الفتى	**والجودَ من خير الغرائز**[4]

---

١ ـ المصدر السابق نفسه : ج١: ص٢٤٢ـ٢٤٠.

٢ ـ المصدر نفسه: ج١ : ص٢٣٦

٣ ـ دلائل البيهقي: ج٣ : ص ٤٣٨؛ البداية والنهاية: ابن كثير: ج١: ص١٢١.

٤ ـ المصدر نفسه: ج٣ : ص٤٣٨.

وفي هذا المشهد يتجلى معنيان أخلاقيان في العرف الديني والعسكري وهما الطاعة والشجاعة، ففي كل مرة ينادي ابن ود العامري بالبراز ينبري الإمام مدفوعاً ومغموراً إلى أم رأسه شجاعة وتضحية، ويجلسه الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير، لا يقدم أحد منهم غير علي (عليه السلام) الفتى المقدام الضرغام، وتظهر طاعة الإمام عندما لا يأذن له النبي في المرتين الأوليين، وفي المّرة الثالثة أيضاً تبدّت طاعته عندما خرج متأدباً ومستأذناً((**فقام عليٌّ (عليه السلام) فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته، فقال: أذن، فدنا فقلّده سيفه، وعمّه بعمامته، وقال: امض لشأنك**))[١].

وفي مشهد للحرب تنخلع منه الأفئدة تقدم الأمام (عليه السلام) وابن عبد ودّ العامري يزمجر أمامه، والمسلمون من خلفه بلغت قلوبهم الحناجر من هول النزال مع ابن عبد ودّ العامري الذي نبت على الحرب، وها هو قد ذرف على التسعين، وهناك مشهد ثالث لعنق من نساء المدينة يضعف من الرجل تجلده يصفه الإمام (عليه السلام) ((**فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليًّ من ابن عبد ود**))[٢]، و من هنا نشاهد إن الإمام (عليه السلام) لا يعبأ بمن يبارز، ويتقدم إلى النزال بخطى ثابتة من أجل نصرة الإسلام.

المطلب الثاني: الرسول يدعو للإمام (عليه السلام)

كثير من المشاهد التي شهدها الأمام (عليه السلام) ينال شرف دعاء الرسول له كما هو في الأحزاب، وخيبر، وذات السلاسل، وحنين، واليمن كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ، هذه الأدعية من قبل الرسول يلاحظ بركتها على الإمام (عليه السلام)في المعركة وبعدها والدليل على ما نذكر إن الإمام له مزايا استثنائية في تحقيق إنجاز ميداني، يعجز عنه

١ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ج١٩: ص٦٣؛ ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣: ص١٦١

٢ ـ بحار الأنوار: المجلسي: ج ١: ص١٧١

الآخرون بينما يكون له (عليه السلام) أطوع من يده، كما أن أخذه القوي للتعاليم الدينية تكشف عن مدى القابلية العجيبة في نفسه للعمل بها.

وكما ذكرنا ـ آنفاً ـ عند معركة الأحزاب حاز علي (عليه السلام) على شرف لبس الزي العسكري النبوي حيث قام الرسول الكريم بتعميمه بعمامته وإعطائه سيفه ذي الفقار وذلك قمة العز والكرامة، ولو لم يكن لعلي غير هذه لكفاه مجداً وعزا فكيف وقد نال أكثر من ذلك من أدعية وأحاديث في فضله.

تقدم علي (عليه السلام) وعليه عمامة رسول الله وبيده ذي الفقار، يرافقه دعاء نبي الرحمة ((**فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيفه، وعمّمه وقال: اللّهمّ أعنْه عليه**))[1].

المطلب الثالث: الإمام يريد هداية عدوّه

طبع الإمام (عليه السلام) أن يدعو إلى الإسلام وطبعه أيضاً أن لا يدعوا أحد للمبارزة مع أنه الشجاع المطرق، ولكن إن دعي للمبارزة بعينه أجاب[2]، وأراد الإمام (عليه السلام) أن يدعوه إلى الإسلام أو يختار طريق آخر غير المبارزة مستخدما ادعائه في قبول طلب من دعاه إلى ثلاث ولم يكن الإمام ليطلب منه المبارزة بادىء ذي بدىء وعندما رفض الدعوات السليمة عندئذ حق للإمام أن يستثيره بأنه يحب أن يهرق دمه ، فعندئذ استشاط غضباً، وشرعاً يتخالسان أيهما يسقي صاحبه كأس المنون لقد كان المنطق الأول الذي استخدمه الإمام (عليه السلام) مع عمر بن ودّ ، وهو منطق الحوار والهداية ، ولكن سرعان ما رفض ذلك وكان يتحدث بمنطق جاهلي ((**فقال له علي (عليه السلام) : إنك كنت تقول في الجاهلية : لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاثٍ إلاّ قبلتها !قال:**

١ ـ المغازي : الواقدي: ج١ : ص٤٧١؛ ونحوه في مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب : ج٣ : ص١٦١؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي: : ج ١: ص١٩٨.

٢ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ج١٩ : ص٦٠.

أجل!قال علي (عليه السلام): فاني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسـول الله، وتسلم لله رب العالمين. قال: يا ابن أخي، أخر هذا عنيّ. قال:فأخرى، ترجـع إلى بلادك، فإن يكن محمد صادقا كنت أسعد[الناس] به، وإن غير ذلك كان الذي تريد. قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرتُ ما نذرت وحرّمـتُ الدّهن))[1].

إذن الإمام (عليه السلام) يريد أن يهدي حتى الكافر الذي شاب على الشرك، وتصلب عوده عليه ، ولا يرغب في قتله ما لم يوصل له دعوة الإسلام هذا من جهة، ومـن جهـة أخـرى كان الإمام (عليه السلام) يدعوه من منطق القوة بحيث انه هو المتحدث في أن يقبل واحدة ، وإلاّ فإنه سوف يرغب في قتله.

المطلب الرابع: إخلاصه (عليه السلام)

قمة الإخلاص أن يصانع الإنسان وجهاً واحداً وهو الله تعالى ومن علائم الإخلاص أن يكون المرء مالكاً لأزمّة نفسه، وقد كان علي (عليه السلام) معلم الإخلاص في الحـرب فقـد ظفر بعدوه وأسقطه الأرض، عندئذ أخذ يسب الإمام من غيضه، وأراد أن يهـوي عليـه بسيفه، إلا أنه تريث لحظة، ليسكن عنه ما به ومن ثم سقاه الموت **((ولما أدرك عمر بن عبد ودّ لم يضربه فوقعوا في علي (عليه السلام) فردّ عنه حذيفة فقال النبي (صلى الله عليه وآله): مه يـا حذيفة فإنّ عليّاً سيذكر سبب وقفته، ثم إنّه ضربه، فلمّا جاء سأله الـنبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك فقال، قد كان شتم أمّي وتفل في وجهي، فخشيت إن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثمّ قتلته في الله))[2].**

---

١ ـ المغازي : الواقدي : ج١ : ص٤٧١؛ ونحوه في كشف الغمة في معرفة الأئمة : ج١ : ص١٩٨، ومناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب : ج٣ : ص١٦٢.

٢ ـ بحار الأنوار : ج٤١ : ص٥٠ـ ٥١.

فعلي (عليه السلام) يخرج إلى عدوه في سبيل الله، ويقتله في الله ، فأول عمله وأخره مصبوغاً بالإخلاص. وقد زف الإمام البشرى للرسول (صلى الله عليه وآله) وللمسلمين عند ما كبر((**وثار العجاجُ، وسمِعَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) التكبير، فعرف أن عليّاً قد قتله**))[1].

نعم لقد أنهى الإمام (عليه السلام) الجولة بالتكبير، وقد حصل على أرفع وسام حيث مجد الرسول بموقف الإمام (عليه السلام) وبين مدى قيمته في ميزان أعمال العباد ((**لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة**))[2] وما ذاك إلاّ لإخلاصه، وربما يُسأل هل هناك ما يثبت أن علي (عليه السلام) كان مخلصاً في غير هذا الموقف ؟

نكتفي بالإجابة الإجمالية عن هذا السؤال بما أورده ابن أبي الحديد شرحه للنهج: ((**إذا تأمّلت دعوا ته ومناجاته، و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلبٍ خرجتْ، وعلى أيّ لسان جرت !**))[3].

المطلب الخامس: حياء وتعالي

اكتفى الإمام (عليه السلام) في الأحزاب بقتل عمرو بن عبد ود دون أن يستلبه لامة الحرب، وجاء بأحسن من ذلك بالبشرى للرسول لأنهم تخلصوا من عدو متجاهر بالعداء، وقد شوهد من علي (عليه السلام) صولة البطل الكريم، وهو يتحرّج حياءً أن يقدم على عدوه ليستلبه، وهو ما يندر في الحرب أن يكون ((**ثم أقبل عليّ ــ رضي الله عنه ــ نحو**

---

١ ـ دلائل : البيهقي : ج٣ : ص ٤٣٩.

٢ ـ مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب: ج٣ : ص١٦٣.

٣ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد: ج١ :ص٢٧.

رسول الله (ﷺ) و وجهه يتهلّلُ، فقال عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ هلاّ استلبتهُ درعهُ ، فإنّه ليس للعرب درْع خير منها ، فقال: ضربته فاتقاني بسواده ، فاستحييت ابن عمّي أن استلبه))[1]، وقد ضرب مثلاً في أنه شديد الوقع على العدو ، وحيي الطبع أن يستلبه ، ولا حياء في ذلك في عرف العرب العسكري آنذاك أن أخذ منه درعه أو سيفه أو ما شابه ذلك ، لكن علي (ع) أخرج يده بيضاء من غير سوء تعالياً وزهداً عنه ، ورغبة بما عند الله تعالى و من أجل هذا حُقّ لأخت ابن ود أن تفتخر بأن يكون مقتله بيد كفء كريم ((لا رقأت دمعتي إن هرَقْتُها عليه ، قتل الأبطال وبارز الأقران ، وكانت منيته على يد كُفء كريم قومه ، ما سمعت أفخر من هذا يا بني عامر ، ثم أنشأت تقول :

لو كان قاتل عمر وغير قاتله   لكنتُ أبكي عليه آخر الأبد

لكنّ قاتلَ عمرو لا يعاب به   من كان يدعى قديما بيضة البلد))[2]

---

١ ـ دلائل : البيهقي : ج٣ : ص ٤٣٩ .

٢ ـ الإرشاد : ج١ : ص١٠٨.

المبحث الثاني: أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في غزوة بني قريظة في ٢٣/ ذي القعدة /٥هـ .

رحلت جيوش الأحزاب لا تلوي على شيء، ودارت الأيام سريعاً وقرر الرسول أن يعطي درساً تأديبياً لبني قريظة لأنهم نقضوا العهد الذي كان لهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وتحالفوا مع الأحزاب بتزيين من حيي بن أخطب إلى رئيسها كعب ابن أسد، واستعد المسلمون لحرب بني قريظة تحت راية علي (عليه السلام) وحاصروهم خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا أخيراً على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من دون قيد أو شرط، فوّلى أمرهم إلى سعد بن معاذ الذي أصابه سهم بالخندق، فحكم فيهم بقتل الرجال، وتقسيم الأموال، وتسبى الذراري والنساء[١]. وحصل في هذه الغزوة أحداث أخرى اعرضنا عنها لعدم علاقتها بالموضوع، وتدخل تحت عناوين أخرى.

وأما أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في هذه الغزوة فسوف نستعرضها بما يلي:

المطلب الأول: بركة و وعد

نزل جبرائيل على النبي يدعوه إلى النهوض لبني قريظة وما كان من الرسول إلا أن أنفذ هذا الأمر وأعطى رايته إلى الإمام علي (عليه السلام)، وقد وعد جبرائيل النبي بأنه سيكون شريك للمؤمنين في حرب بني قريظة وليدخلن عليهم في حصونهم ويضعضعها برفقة الملائكة الذين كانوا معه.[٢]

---

١ - انظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ج٣: ص٢١٢-٢١٨؛ تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون: تحقيق خليل شحادة: ج٢: ص٤٤٣.

٢ ـ السيرة النبوية : أحمد بن زيني دحلان : ج١ : ص١١٠.

وبعث منادياً يقول: ((**يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار إليهم وبعث علياً رضي الله عنه على المقدمة ودفع إليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق**))[1].

وكان النبي (ص) قد تحدث إلى علي (ع) قبل أن ينحدر إلى بني قريظة بكلمات إلهية ملئها الاحترام والود الخاص لعلي (ع) وليس هذا فحسب، بل إن وعد الله تعالى سيتحقق على يد علي (ع)، ولا عجب في أن من يسير على بركة الله يأتي بفتح الله ((**وكان النبي(ص)قال لي حين توجّهت إلى بني قريظة: سرْ على بركة الله، فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم**))[2].

المطلب الثاني: عزمه (ع)

قام الإمام (ع) ـ حين وصوله إلى بني قريظة ـ وركز الراية الإسلامية في أصل الحصن وهو ما يدل على مدى إقدامه وجرأته، وليبعث في نفوس المسلمين ما يشد من عزيمتهم، وقام أيضاً بخطوة أخرى لها دور في بعث الحماس عند المسلمين ((**إن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان وتقدم هو والزبير ابن العوام وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو أقتحم حصنهم**))[3]. إن العزيمة الراسخة هي التي تبعث الإمام (ع) في أن ينادي بأصحابه يحرضهم على ركوب طريق الشهداء من قبله.

فعلي (ع) كان أمامه طريقين لا غير وهما: إما أن يذوق ما ذاق حمزة من الشهادة.أو يقتحم الحصن، ويظفر بالنصر، وهذا التقسيم لا يدع مجالاً آخر للحلول الوسط.

---

١ ـ المصدر نفسه: ج ١: ص٤٥٠.

٢ ـ الإرشاد : ج١ : ص١١٠ ؛ ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب : ج٢ : ص١٧٠؛ وكشف الغمة : ج١ : ص٢٠٧.

٣ ـ البداية والنهاية : ج٢: ص١٣٩

إن صيحات علي (عليه السلام) والتي يسمعها من في داخل الحصن كانت كأنها دمدمة على بني قريظة مما جعل مرجل الغضب عندهم يفور مما يرون من شدة عزمه وتصميمه، الأمر الذي دفعهم بإرسال كيل من الشتائم إلى الرسول والمسلمين ((**حتى إذا دنا من الحصون سمع منهم مقاله قبيحة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)**)).[1]

ومما سبق يظهر أن الإمام (عليه السلام) أظهر عزمه في تحقيق النصر للإسلام حتى ولو دفع حياته ثمناً لذلك.

المطلب الثالث: يقينه (عليه السلام)

الأخذ القوي للتعاليم الإلهية يورث اليقين، والإمام (عليه السلام) فطر على تبعية الرسول (صلى الله عليه وآله) وحينما يمم الإمام وجهه شطر بني قريظة بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله)، كان قد تيقن بالنصر سيما وان الرسول قال له ـ كما ذكرنا سابقاًـ " **فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم** " فالإمام يعكس طبيعة ما صار إليه من اليقين، حيث أنه قد تلقى ما قاله الرسول الكريم على وجه الحقيقة واليقين ولذا انقلب وهو في غاية الاطمئنان ((**فسرتُ مستيقناً لنصر الله عز وجل حتى ركزت الراية في أصل الحصن**))[2]. إن إيمان علي (عليه السلام) هو الذي يبعث على يقينه ، وإن صفاء نفس علي (عليه السلام) هي التي تعكس سرعة يقينه واطمئنانه ، ولذا فالإمام كان دائماً على بصيرة ويقين من أمره ((**وإنَّ معي لبصيرتي: ما لبّستُ على نفسي ، ولا لُبّسَ عليَّ**))[3] .

١ ـ سيرة ابن هشام : ج٣: ص٢١٢

٢ ـ الإرشاد : ج١ : ص١١٠ ؛ كشف الغمة : ج١ : ص٢٠٧.

٣ ـ شرح نهج البلاغة : ج١٠ : ص١٧٠.

المطلب الرابع: حمده وثنائه لله

كان شكر علي (عليه السلام) في أثناء الحرب يختلف كثيراً عما يقوم به الناس من شكر الله في ظروف النعمة الظاهرة، عند ما وصل الإمام (عليه السلام) إلى بني قريظة لاحظ أنهم يرددون ذكر قتله لابن عبد ود العامري، وهذا الأمر يدخل الرعب في نفوسهم وأصبحوا جنود وأعداء على أنفسهم فهم يعينون عليها ولكن لا يشعرون، مما جعل الإمام (عليه السلام) يؤدي شكر هذه النعمة الباطنة والتي ظهرت على لسان أعداءه ((**فلما أشرفوا ورأوا عليا قالوا: أقبل إليكم قاتل عمرو ـــ وقال آخر:**

قتل عليّ عمرا صاد عليّ صقرا قصم عليّ ظهرا هتك عليّ سترا

فقال عليّ (عليه السلام): (الحمد لله أظهر الإسلام وقمع الشرك)، فحاصرهم))[1].

تجدر الإشارة إلى أن من الممكن لشخص أو قائد معين أن يدرك أن بني قريظة بترويجهم وذكرهم لمقتل ابن عبد ود العامري يُعينون على أنفسهم بذلك، ولكن من غير الممكن لأحد لا يملك التقوى أن تكون عنده هذه الحاسة الدقيقة في أن ذلك يستحق الحمد والثناء له تعالى، وأبعد من ذلك أن علي (عليه السلام) في حمده لله تنعدم عنده رؤيته لنفسه ويرى أن ما قام به من نصر على العامري هو نصر كان في أساسه للإسلام وأهله، وليس لعلي (عليه السلام) ، وهو ما يستفاد من عبير عبارة حمده.

١ ـ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣ : ص١٧٠.

المبحث الثالث: أخلاق الإمام (عليه السلام) في غزوة ذات السلاسل (وادي الرمل) في السنة الخامسة من الهجرة.

هذه الغزوة جاءت في أعقاب غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة المباركة كما أورد ذلك الشيخ المفيد (قدس سره)، وقد أوردها تحت عنوان غزوة وادي الرمل، وفي موضع آخر تحت عنوان السلسلة.[1] وفي هذه الغزوة نزل على النبي (صلى الله عليه وآله) سورة العاديات[2] وقد وصل الخبر عن طريق جبرائيل (عليه السلام) بأن جماعة من الناس تعاهدوا في القضاء على الدين الحنيف.[3]، ويذهب الشيخ المفيد على أن أعرابياً جثا بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله) فاخبره بتدبير الناس في ذلك المكان أي وادي الرمل.[4]

وقد انتدب الرسول لهذا الأمر عدد من القادة في سبيل تحقيق هدايتهم إلي الإسلام أو يختاروا القتال، ورجع القادة الثلاث الذين ندبهم الرسول لتلك المهمة، وبعد أيام أنتدب الإمام علي (عليه السلام) لإنجاز الهدف الإلهي، وتم له الظفر والنصر بعد أن قتل عدداً منهم ، وفر الآخرون.

والإمام (عليه السلام) فرش المعروف من أخلاقه وفضله في هذه الغزوة وكانت كالتالي:

المطلب الأول: ـ الرسول (صلى الله عليه وآله) يشهد ويشايع ويدعوا له (عليه السلام)

لم تنجح المحاولات المتكررة من قبل بعض القادة في إحراز نتيجة مرضية للرسول (صلى الله عليه وآله) مما دعاه إلى أن يرسل لهذه المهمة الإمام (عليه السلام)، ((**ثم دعا أمير المؤمنين عليَّ بن أبي**

١ـ الإرشاد: ج١ : ص١١٣، ص١٦٢.

٢ـ الإرشاد: ج١ : ص١١٧.

٣ـ التفسير ألقمي: ج٢ : ص٣٣٤.

٤ـ الإرشاد : ج١ : ص ١١٣.

طالب (عليه السلام) فعقد له، ثمّ قال: ((أرسلتهُ كرّار غيَر فرّار))ورفع يديه إلى السماء وقال: ((اللّهمّ إن كنتَ تعلم أنِي رسوُلك، فاحفظني فيه وافعَلْ))فدعا له ما شاء [١]

ماذا تعني هذه الشهادة أو الوسام الذي علقه الرسول على جبين التأريخ ((أرسلته كرار غير فرار)) ؟

إن الرسول يعرف من هو علي الذي من عادته الكرّ والإقدام ولذا قال عبارته الخالدة، ويعرف أيضاً مدى الإيمان الذي طُوي تحت جوانح علي (عليه السلام)، ويعرف كذلك الغيرة الدينية التي خالطت إيمان علي (عليه السلام) والتي تزيح عنه أي نكوص في الحرب. ربما يأتي السؤال عن العلاقة بين دعاء الرسول وأخلاق علي (عليه السلام) ؟ وبعبارة أخرى ، هل أن دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يدل على أخلاق علي (عليه السلام) ؟بالتأمل القصير في دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يلاحظ وجود علاقة أخوية وإلهية " فاحفظني فيه " ويلاحظ أيضا أن النبي يطلب من الله تعالى أن يكون مسدداً له في فعله حتى يكون يده التي يبطش بها وذلك هو التوفيق والتسديد الإلهي.

وهناك إشارة ضمنها الخبر في الإرشاد " فدعا له ما شاء " وهي تعبر عن شدة الصلة بينهما سواء على صعيد الارتباط الاجتماعي أو على صعيد تبليغ الرسالة.

أما مشايعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي تنبيء عن الاحترام والتقدير الذي يكنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) ومن معه في أمرته ((وخرج عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وخرَج رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتشييعه، وبلغَ معه إلى مسجد الأحزاب))[٢]

١ـ الإرشاد: ج١ : ص١٦٣؛ ونحوه في مناقب ابن شهر أشوب: ج٣ : ص١٦٦.

٢ـ الإرشاد: ج١ : ص١٦٣.

المطلب الثاني: المرونة والحزم

قيادة الجيش تحتاج إلى ممارسة أخلاقية متنوعة، وعندما ذهب الإمام بجيشه مارس الحزم من أجل الوصول إلى الهدف بأسرع ما يمكن، وسلك سبيلاً وعرة، وكان يتخفى عن الأنظار نهاراً، ويجد السير ليلاً ويعطي أوامره ((**فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه، ثمّ أخذ بهم على محجّة غامضة، فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه**، وكان يسيرُ الليلَ ويكمن النهار. فلما قرب من الوادي **أمر أصحابه أن يعكموا الخيل، و وقفهم مكاناً وقال " لا تبرحوا " وانتبذ أمامهم فأقام ناحية منهم**.))[1] ويلاحظ حزم الإمام في عباراته " **لا تبرحوا** " و " **أمر أصحابه أن يعكموا الخيل** " ولم ينثني الإمام عن تغيير خطته مهما تحدث معه بعض الأفراد في ذلك " **لا والله ما أجابني حرفاً** " ، كما أن الإمام (عليه السلام) يعرف المواطن والحالة التي يجب أن يمارس فيها المرونة ((**فلما أحسّ (عليه السلام) الفجر قال: ((اركبوا بارك الله فيكم))**[2] ، فالإمام (عليه السلام) مارس الحزم والشدّة في قيادة جيشه من أجل أن يحافظ على الانضباط العسكري والتسلسل الوظيفي وهو ما يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المفروض.واستخدم المرونة من أجل المحافظة على روح الأخوة بينه وبين الأفراد، وكل حالة يقوم بها لها ظروفها الخاصة بها .

المطلب الثالث: صلاته (عليه السلام)

كان علي (عليه السلام)يعيش العبادة، وعندما يقوم للصلاة يفرغ لها أعز أوقاته ويعرض عن غيرها في وقتها، وفي ظرف الحرب مع بني سليم في ذات السلاسل كان علي (عليه السلام) يؤم الصلاة بأصحابه، وبعد رجوع الجيش الظافر صادف أن سأل النبي مَن سار مع علي (عليه السلام) في هذه الغزوة عن الإمام (عليه السلام) وملاحظتهم عنه ((**فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لبعض من كان معه في الجيش: ((كيف رأيتم أميركم ؟))**

١ـ الإرشاد: ج١ : ص١٦٤.

٢ـ مناقب ابن شهر أشوب: ج٣ : ص١٦٦.

قالوا: لم ننكر منه شيئاً، إلاّ انّه لم يؤمُّ بنا في صلاة إلاّ قرأ بنا فيها:(قلْ هو الله أُحد) ـــ فقال النبي (ص) ((سأسأله عن ذلك)). فلمّا جاءه قال له: ((لِمَ تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة إلا خلاص ؟ فقال: ((يا رسول الله أحبَبْتُها)) قال له النبي (ص): ((فإن الله قد أحبّك كما أحببْتَها))[1].

إن إنكار بعض الجنود إدامة قراءة قل هو الله احد هو مدح لعلي (ع) غير أنهم غابوا عن لهجة الحب التي يتقنها الإمام (ع) ، والنبي الشفيق كان قد أجابهم برفق ومدارة عن هذا المديح الذي يجهلون صفته ((**سأسأله عن ذلك**))، إنهم لم ينكروا شيئاً غير إدامته في صلاته لقراءة سورة إلا خلاص !!وكان جواب الإمام علي (ع) أنه قد شغف بقراءة هذه السورة حباً، فالإمام (ع) في واقع الحال يحب كلمات الله تعالى، ويحب المعاني التوحيدية وحقائقها المعنوية. والرسول أجابه في الحال عن الله المتعال: ((**فإن الله قد أحبّك كما أحببتَها**)) وهكذا نلاحظ أن الإمام (ع) قد عانق الصلاة.

المطلب الرابع: فرط محبته للنبي

عند ما عاد الإمام (ع) ظافراً منتصراً ، جاء الخبر من جبرائيل (ع) يبشر النبي بقدوم علي (ع) ، والنبي (ص) قد قام بتشريفات خاصة بمجيء الإمام (ع)، حيث أمر الناس باستقباله ، وأقامهم على هيئة خاصة ومنظمة بأن يكونوا صفين ، وكان الرسول الأكرم على رأسهم في استقباله وما أن أبصر بمحل النبي (ص) حتى ترجّل عن فرسه وأهوى من فرط محبته على قدمي النبي (ص) يقبلهما ، إن المرء ليشعر بالعجز عندما يحاول أن يصف هذه المحبة المقدسة التي طفحت بها أحاسيس علي (ع) وهل في المسلمين من بلغت به الصبابة مثلما بلغت في علي مبلغها؟!

((ثم خرج إلى الناس فأمرَهم أن يستقبلوا علياً(ع) وقام المسلمون له صفّين مع رسول الله (ص).

---

١ - الإرشاد: ج١: ص١١٦-١١٧.

فلما بَصَر بالنبي (صلى الله عليه وآله) ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يُقبلهما، فقال له (صلى الله عليه وآله) ((اركب فإنّ الله تعالى ورسوله عنك راضيان))فبكى أمير المؤمنين (عليه السلام) فَرَحاً، وانصرف إلى منزله، وتسلم المسلمون الغنائم)) [1].

ماذا عسى من رأى علي (عليه السلام) ، وهو يهوي إلى قدمي الرسول (صلى الله عليه وآله) ليقبلهما غير أن يقول ﴿حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2] من شدة ما يرى من جلال المشهد، وسرعان ما تعصف بالمرء ثورة عارمة تأتي على عواطفه لتهوي به أيضاً ليقبّل قدمي علي (عليه السلام) وينقلب علي (عليه السلام) إلى أهله مسرورا بعد لقاء النبي (صلى الله عليه وآله)، ترافق فرحته دموع تسح على صدره كأنّها اللؤلؤة القلق، ((فبكى أمير المؤمنين (عليه السلام) فرحاً))وهكذا نشاهد فرط محبته للرسول (صلى الله عليه وآله)

المبحث الرابع: أخلاق الإمام (عليه السلام) في غزوة بني المصطلق (شعبان / ٥هـ.ق)[3]

هذه الغزوة حصلت في منطقة تدعى المُريسُع في طريق مكة والمدينة ، ولذا تعرف أحياناً بغزوة المُريسُع ، وقد وقعت هذه المعركة مع بني المصطلق والذين يشكلون طائفة من خزاعة ، وقد كان سببها أن بلغ رسول الله أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله).[4]والرسول بدوره أرسل من يتقصى أخبارهم ، ويأتي بحقيقة الموقف ، وتم إرسال بريد بن حُصَيب[5]لهذا الغرض وعاد الموفد السري للرسول بالخبر اليقين عندئذ تقرر إرسال

١ـ الإرشاد : ج١ ص١١٦.

٢ـ يوسف: ٣١.

٣- مغازي الواقدي: ج١: ص٤.

٤ـ سيرة ابن هشام: ج٣ : ص٢٦٤.

٥ـ مغازي : الواقدي : ج١ : ص٤٠٥.

جيش و وقعت معركة قتل على أثرها عشرة أشخاص فيما أسر الباقي وتم ضبط الغنائم منهم وتقسيمها على المسلمين[1] وفي هذه الحرب كان لعلي (ع) دور محوري في حسم المعركة ((وكان الفتح على يديه في هذه الغزاة ،بعد أن أصيب يومئذ ناسٌ من بني عبد المطلب ، فقتل أمير المؤمنين (ع) رجلين من القوم وهما مالك وأبنه))[2]، وعلاوة على ذلك أن ((الذي سبى جويريه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فجاء بها إلى النبي(ص) فاصطفاها النبي(ص)))[3]

ويبدوا أن علي (ع) ذهب ليصطاد رأس بني المصطلق فلم يظفر به فأسر من كان هناك بما فيهم ابنته وقام بتحويلهم إلى الرسول القائد (ص) وهذا يدل على بذله وصولته في سبيل الله فهو يقتل فريق ويأسر آخرين.

المبحث الخامس: أخلاق الحرب عند الإمام (ع) في غزوة بني سعد بفدك (شعبان ، سنة ٦هـ)

هذه الغزوة جاءت إثر الأخبار التي وصلت للرسول (ص) في أن بني سعد يريدون أن يُمدّوا يهود خيبر على المسلمين؛ عندها بعث الإمام علي(ع) في مائة رجل، وفي أثناء الطريق إلى فدك أصابوا عيناً لبني سعد يقوم بمد جسور الارتباط بين بني سعد ويهود خيبر، وبعد تهديدهم له دلّهم على مائهم ومرعاهم وديارهم فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بن عليم، ومكث الإمام (ع) ثلاثة أيام في بني سعد ثم قدم المدينة.وتبدّت أخلاق الإمام (ع) في هذه الغزوة بما يلي:

١ـ مغازي : الواقدي: ج١ : ص٤٠٧.

٢ـ الإرشاد: ج١ : ص١١٨.

٣- الإرشاد: ج١ : ص١١٨.

المطلب الأول: حنكة ودراية

ليست هذه المرة الأولى التي يتولى فيها الإمام قيادة الجيش، وإنما تسنم منصب قيادة البعوث والسرايا والغزوات لمرات عديدة، ومن هنا فقد تراكمت تجربته وصقلت معرفته فأصبح الرجل الأول الذي لا يجارى في مسائل الحرب، والضليع بشؤونها.فعند ما بعثه رسول الله كان له في مسيره عرف ينم عن لياقته العسكرية ((**فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج[1]، فأصاب عينا**))[2].

أما في نباهته وحاسته العسكرية فيلاحظ أنه عندما أصاب عيناً، تم التحقق من هويته، عن طريق توجيه أسئلة تقليدية عن اسمه ومنطلقه و وجهته، ونظراً للشكوك التي تحيط بسلوكه، لجأ بعض الأفراد لأسلوب التهديد له، فطفق يخبرهم عن تكليفه الحربي في أن يكون جندي ارتباط والمفاوض الخاص بين بني سعد ، وخيبر، وأخبرهم عن أعدادهم ورئيسهم ومحل تواجدهم ((**فأصاب عينا فقال: ما أنت ؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ قال : لا علم لي به ، فشدّوا عليه فأقرّ أنه عينٌ لهم بعثوه إلى خيبر، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم و يقْدَمون عليهم ، فقالوا له : فأين القوم ؟قال: تركتهم وقد تجمّع منها مائتا رجل، ورأسهم وبر بن عُليم قالوا: فسربنا حتى تدلّنا**.))[3]

وبعد أن سارُ بهم وأوصلهم إلى مشارف بني سعد، طلب منهم أن يطلقوه فلم يفعلوا، لأن الإمام (عليه السلام) يعرف تقديرات الحرب فما زالت الفرصة مؤاتية أمامه لكي يخبرهم ويتخذوا مواضعهم الدفاعية أو يخلصوا بما عندهم من أموال ومواشي أو يصرّح بمعلوماتهم تفيد قومه عن المسلمين. فأخرّ إطلاقه إلى حين ((**فقال الدليل: عَلامَ تحبسني ؟**

١ـ الهمج: وهو مابين خيبر وفدك.طبقات ا بن سعد: ج١ ص٤٠٩.

٢ـ مغازي الواقدي: ج١ ص٥٦٢.

٣ـ المصدر نفسه: ص٥٦٢.

قد تفرّقت الإعراب وأنذرهم الرعاء.قال عليّ(عليه السلام): لم نبلغ معسكرهم. فانتهى بهم إليه فلم يَرَ أحداً، فأرسلوه وساقوا النّعم والشاء))[١]

ومما سبق يظهر أن الإمام (عليه السلام) القائد الفذ الذي لا يدانى ـ بعد الرسول الأكـرم ـ في معرفة صر وف الحرب وخبايا أحداثها.

المطلب الثاني: ضرورة أخلاقية

بعد أن تم إنجاز المهمة التي أناطها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإمـام (عليه السلام)، قـام الإمـام (عليه السلام) بتقسيم الغنائم وحسب التوزيع الشرعي للأسهم ((**فعزل عليّ صفيّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لَقوحاً تدعى الحفدة ثمّ عزل الخمس وقسم سائر الغنائم على أصحابه**))[٢]، لكن ما يدعوا للتساؤل هو ما هي ضرورة بقاء الأمام (عليه السلام) لثلاث أيام في بني سعد بفدك ؟

إن الإمام (عليه السلام) ليس مهمته أن يَغير علـى الهـدف بهجـوم خـاطف ويرجـع ومعـه الغنائم والسبي كما هي في غارات القبائـل في العهـد الجـاهلي، بـل وظيفتـه الأولى أن يظفر بأولئك الجمع الذين ولّوا الدبر والـذين يريـدون بالإسـلام وأهلـه سـوءاً، ولـذا مكث بانتظار أن يرجعـوا ليدخلـهم في الـدين القـيم، أو يـدفع عـن الإسـلام أعدائـه ((**فمكث عليٌّ (عليه السلام) ثلاثا**))[٣].

فالضرورة الأخلاقية تقتضي أن ينتظر قدومهم حتى حين ، وذلك يوميء إلى شـجاعة وقوة القائد وسريته ،ونزاهة الهدف الذي جاءوا من أجله كمـا أن الإمـام (عليه السلام) حـافظ على رجال سريته من الأخطار التي قد يتعرّضوا لها في أثناء صولته وحين مكوثه في ذلـك الحيّ وعند رجوعه إلى المدينة ((**وقدم المدينة ولم يلق كيداً**))[٤].

١ـ المصدر السابق: ص٥٦٣.

٢ـ طبقات بن سعد: ج١ : ص٤٠٩؛ ونحوه في مغازي الواقدي: ج١ ٥٦٣.

٣ـ مغازي الواقدي: ج١ : ص٥٦٣.

٤ـ طبقات ابن سعد: ج١ : ص٤٠٩.

الفصل الثالث

أخلاق الحرب

في

غزوة خيبر ، وفتح مكة ، وغزوة حنين ، والطائف ، وبني زبيد ، واليمن

المبحث الأول: أخلاق الإمام في غزوة خيبر في (٧هـ)

هذه الغزوة جاءت في أعقاب صلح الحديبية الذي تم الاتفاق عليه مع قريش في السنة السادسة من الهجرة وكان من أسباب هذه الغزوة أن اليهود كانوا على عداوة شديدة للإسلام، وكانت خيبر معقل للمتآمرين على الرسول (ﷺ)، فقد ذهب بني النضير بعد إجلائهم إلى خيبر بما فيهم حيي بن أخطب والذي كان قد قتل مع من قتل من بني قريظه وفاءاً للوعد الذي قطعه لهم في غزوة الأحزاب. كما أن سلام بن حقيق وهو أحد المحرضين اليهود في غزوة الأحزاب قد ذهب إلى خيبر إلاّ أنه تم اغتياله من قبل عدد من المسلمين من بني خزاعة، إضافة إلى تحالف يهود خيبر مع بعض القبائل التي تعلن العداء للرسول كبني سعد وغطفان لهذه الأسباب تقدم المسلمون بأمر الرسول إلى خيبر ذات الحصون المنيعة ((**ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء**)).[1]

وكانت خيبر تتمتع بمزيتين المزية الأولى أنها منطقه كثيرة المحاصيل وتكثر فيها البساتين، والثانية أنها منطقة تتمتع بحصون منيعة نظير حصن ناعم ، والقموص ، والوطيح ،والسّلالم .[2] وتجدر الإشارة إلى أن الرسول قد استفاد من صلح الحديبية في تحييد قريش وعدم دخولها كطرف في الصراع في أثناء غزوة خيبر. وقد تم محاصرتهم بضعة عشر ليلة أو بضعاً وعشرين ليلة على اختلاف الروايات وبعد ذلك تم الفتح[3]

وفيما يلي استعراضاً للأخلاق التي بسطها أمير المؤمنين في هذه الغزوة:

١ـ سيرة ابن هشام: ج١ ص٣٠٣.

٢ـ سيرة ابن هشام: ص٣٠٩ـ٣٠٥.

٣ـ الإرشاد: ج١ص ١٢٥.

المطلب الأول: عليّ دأبه العمل

نظراً لعدم قدرة بعض القادة الذين أرسلهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختراق التحصينات اليهودية في خيبر ورجوعهم من دون أن يحققوا شيء فقد أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام الملأ أنه سيرسل الراية بيد رجل على علاقة وثيقة بالله ورسوله وقد أخلى وجهه لله بأن فرّغ فؤاده لحب الله ورسوله، فأحبه الله ورسوله.

وهنا يبرز سؤال وهو كيفيه الوصول إلى حب الله ورسوله ومحبتهما له بعد ذلك ؟ إن حب علي (عليه السلام) يكشف عن مدى العمل الدءوب بالفرائض والسنن الذي أنس به فكان دأبه وارتياحه وحنينه وأنينه إلى الله تعالى، وفي الحديث ((**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** ..))[1] فالحب الذي تعلق به فؤاد علي (عليه السلام) ناتج عن قرب ، ولا سبيل بالوصول إليه عن طريق إعمال العواطف فقط ، فالذي يوصل إلى ذلك الحب هو العمل و محبته مما يؤدي إلى أن يخصه الله ورسوله بتلك المحبة التي تطلعت إليها أعناق القوم شوقاً وكلهم يرجوا نوالها ((**وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدُّ من القتال الأول ، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله فقال : أما والله لأعطينّها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يأخذها عنوة ــ قال : وليس ثَمّ علي**(عليه السلام) **فتطاولت لها قريش ، ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح فجاء عليّ**(عليه السلام) **على بعير له ، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**: فقال له رسول الله: ((ادنُ مني، فدنا فتفل في عينيه، فما اشتكى منهما حتى قضى إلى حوار ربه. ثم أعطاه الراية فنهض بها معه**))[2]، إن راية خيبر تحتاج إلى قائد تأخذ بمجامع قلبه محبة الله ورسوله ليتسنى له أن يندفع ويقاتل بشجاعة غير مكترث بشيء لينال الهدف، فما يريده الله ورسوله هو

---

١ - الأصول من الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: تصحيح وتحقيق علي أكبر غفاري : ج٢: ص٣٥٢؛ كتاب الإيمان والكفر: باب أذى المسلمين : ح٧.

٢- تاريخ الطبري: ج٢ ص١٣٧؛ ونحوه ذلك في سيرة ابن هشام:ج٣ : ص٣٠٩؛ والإصابة: ج٤ : ص٤٦٦؛ والاستيعاب: ج٣ : ص١١٠٠-١٠٩٩.

فتح حصني الوطيح والسلالم،[1] وذلك لن يكون إلا بشجاعة مشفوعة بمحبة تقود إلى رضوان الله ورسوله.

المطلب الثاني: رويّة ورفق

بعد أن أخذ علي (عليه السلام) الراية الإلهية، لم يذهب بها من دون **أن يسأل النبي** (صلى الله عليه وآله)، ففي عرف الأدب العلوي ليس بإمكانه أن يذهب دون أن يستفسر من صاحب الشريعة الغراء، ويعلمه الرسول بأن يدعوهم الإسلام بتمهّل ورفق ودون عنت ويخبرهم حقوق الله على الناس وأن يكون طمعه في هداية الناس ((**فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم إدعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**))[2].

ومن عادة علي (عليه السلام) أن يميل لهداية الناس فهو قائد رحمة وهداية، فهو القائل : ((**فوالله ما دفَعتُ الحَرْبَ يوماً إلاّ وأنا أطمعُ أن تلحق بي طائفةٌ فتهتدي بي ، وتعْشوا إلى ضوئي ، وذلك أحبُّ إليَّ من أنْ أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوءُ بآثامِها**))[3]

المطلب الثالث: قوّة وفتوة .

لم تفلح الجهود في سبيل ثني يهود خيبر في الاستجابة لقبول الإسلام ، وقابلوا المسلمينَ بالمقاومة ، ((**وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفرٌ مُعَصْفَرٌ يمانٍ، وحجرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :**

قد علمت خيبر أنّي مرحبُ　　　شاكي السِّلاحِ بطلٌ مجرّبُ

١- سيرة ابن هشام: ج٣ : ص٣٠٧.

٢- البداية والنهاية: ج٢ : ص٢١١.

٣ـ نهج البلاغة: الخطبة ٥٥ : ص١٠٦.

فقال عليٌ(عليه السلام):

أنا الذي سمّتني أمّي حيدره　　أكيلكم بالسيف كيل السنْدَرَه

ليْثُ بغابات شديدُ قسوَرَه

فاختلفا ضربتين ، فبدره عليٌ (عليه السلام) فضربه ، فقدَّ الحَجر والمغفَر ورأسه ، حتى وقع في الأضراس))[1]

لقد كانت ضربة علي (عليه السلام) من القوة **((فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس))**.

إن علي (عليه السلام) كان قد أوتي بسطة في الجسم **((لم يُمسك بذراع رجلٍ قطُّ إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس))**[2]

وقد يسأل عن علاقة قوة الجسم بالأخلاق ؟ ويأتي الجواب بأن هذه القوة الجسدية هي وسيلة لأداء الوظائف الأخلاقية ، أو الأهداف الإسلامية كما هو بالنسبة إلى المبارزة. مع مرحب أو مع غيره من أعداء الله تعالى حيث أدت القوة الجسدية دوراً لا يقل شأناً عن روح التضحية والفداء في سبيل تحقيق الهدف .

واستمر الإمام علي (عليه السلام) في محاربة أعداء الله بعد مقتل مرحب، فأتى علي (عليه السلام) باب حصنهم ليقلعه بيده **((فتناول علي باب الحصْنِ فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم، نجهد أن نقلب الباب فما استطعنا أن نقلبه))**[3]

١ـ تاريخ الطبري: ج٢ : ص١٣٧؛ ونحوه في الإرشاد: ج١ : ص١٢٧.

٢ـ وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري: ص٢٣٣؛ الاستيعاب: ج٣: ص١١٢٣.

٣ ـ تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، ج٢ ص٤١١؛ ونحوه في سيرة ابن هشام: ج٣ ص٣١٠؛ تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي ، تحقيق إبراهيم صالح، ص١٩٩.

ويتجاوز الإمام علي (عليه السلام) قوته الجسدية، ويتكيء على الغيب وتأييده لـه (عليه السلام) **((والله ما قلعت باب خيبر بقوّة جسديّة، ولا بحركة غذائية ولكنّي أيّدت بقوّة ملكيّة ونفس بنور بارئها مضيئة))**[1] والإمام (عليه السلام) يعزي النصر وفتح الحصن إلى عون الله تعالى: **((فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده))**[2]، وهكذا نجد أن القوة والفتوة التي تمتع بها الإمام (عليه السلام) هـي مـن أجـل تحقيق أهداف الإسلام وكانت بتسديد الله وتوفيقه له (عليه السلام)

المبحث الثاني: أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في فتح مكة (٨ هـ)

حصل فتح مكة في أعقاب تنصل قريش عن التزامها بشروط صلح الحديبيـة، حيـث أنها ظاهرت بني بكر على بني خزاعة الذين كانوا في عقد النبي (صلى الله عليه وآله).وهـو مـا يعـني نقض للبند الذي يسمح لأي قبيلة أن تدخل في عقد الرسـول ، أو تحـب أن تـدخل في عقد مع قريش ، فدخلت خزاعة في عقد الرسول ، وتحالف بنو بكر مـع قـريش ، وبـذا عزم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)على الوقوف في نصرة بني خزاعة بعد أن جـاؤوا وتظلمـوا إليه من بني بكر ومن ورائها قريش التي كانت تمدها بالسلاح والرجل.[3]، حيث وضعوا النقاب خشية أن يعرفوا . حصل هذا بعد مرور اثنين وعشرين شهراً من الصلح وبلـغ بتمادي بني بكر في النيل من بني خزاعة أن هذه الأخيرة لجأت إلى حـرم الكعبـة وبيـت بديل بن ورقاء الخزاعي إلا أنهم لم يراعوا ذلك وأصابوا منهم ما أصابوا ، حيـث قتلـوا من خزاعة عشرين أو ثلاث وعشرين[4]، فكان على القريشيين أن يتحملوا تبعات هـذه الحادثة وقد قرر الرسول أن يفتح مكة وقد ستر هذا الأمر عن المسـلمين ، ورغـم ذلـك

١ ـ بحار الأنوار: ج٤٠ ص ٣١٨.

٢ ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص١٧١.

٣ـ سيرة ابن هشام: ج٤ : ص٣٦؛ السيرة النبوية: أحمد بن زيني دحلان: ج٢: ص٤٥.

٤ـ المصدر نفسه : ص٣٠؛ السيرة النبوية: ج٢: ص٤٦.

فقد كانت هناك محاولات لتغيير موقف الرسول (صلى الله عليه وآله)كتلك التي قام بها أبو سفيان في قدومه إلى المدينة من أجل تدارك الموقف إلا أن ذلك لم يحصل [1]،كما حاول بعض المسلمين تسريب معلومات إلى قريش بشأن قرار الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا أن الأمر أُكتشف[2]

و أخيراً وصل المسلمون أبواب مكة في جمع غفير ناهز عشرة آلاف مقاتل وقد حصلت معارك جزئية، وبعدها تم فتح مكة في سنة ٨ هـ [3]ليدخل المسلمين في مرحلة جديدة . وفي تلك الأحداث والظروف المرتبطة بفتح مكة كان للإمام (عليه السلام) أدوار مختلفة جسد فيها الأخلاق الإسلامية الآتية!

المطلب الأول: الإمام علي (عليه السلام) مستودع سر النبي (صلى الله عليه وآله)

عند وصول وفد بني خزاعة بزعامة بديل بن ورقاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله)وقدموا له تقريراً وبثوا إليه شكواهم [4]، قرر الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بحق بني خزاعة من أهل مكة وأخفى الأمر على الناس جميعاً، ودخل أبو سفيان المدينة ليستدرك الموقف ويجبر ما أقدم عليه رجالهم فذهب إلى أبنته أم حبيبه بنت أبي سفيان إلا أنها أعرضت عنه وطوت عنه فراش النبي (صلى الله عليه وآله) لئلا يجلس عليه ثم ذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً ، وهكذا ذهب إلى أبي بكر وعمر فلم يفعلوا له شيئاً ، ثم أتى على الإمام علي (عليه السلام) وكانت عنده فاطمة (عليها السلام) ، فناشده بأن يكلم النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له : ((**ويحك يا أبا سفيان !والله لقد عزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه**))[5]لقد تنقل أبو سفيان على الرسول الأكرم فلم يجبه وعلى ابنته فصدته وقدم على

١ـ المصدر نفسه : ص٣٦.

٢ـ المصدر نفسه : ص٣٤.

٣ـ المصدر نفسه : ص٣٥.

٤ـ المصدر السابق: ص٣٦.

٥- المصدر نفسه: ص ٣٢ـ٣٦؛ وتاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي: ج ٢ : ص ٥٢٤.

أبي بكر فقال:ما أنا بفاعل وجاء إلى عمر فاظهر عداوته . إلا أن موقف الإمام يكشف عن علمه بما عزم عليه النبي (صلى الله عليه وآله) من أمر غير قابل للنقاش فيه ، وليس هناك مجال لأحد أن يتدخل فيه ((**ودبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمر فيها بكتمان مسيره إلى مكة ،وستر عزيمته على مراده بأهلها ، وسأل الله ــ عزّ اسمه ــ أن يطْوي خبره عن أهل مكة حتى يبغَتهَم بدخولها ، فكان المؤتمن على هذا السرّ والمودع له ــ من بين الجماعة ــ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فكان الشريكَ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الرأي ، ثمّ نَمّاه النبيُّ (صلى الله عليه وآله) إلى جماعة من بعد**))[1]وهذا يكشف عن أن الإمام علي (عليه السلام) كان هو المؤتمن والمستودع على سر النبي ويكشف عن أن الإمام هو خليل رسول الله وله ذلك خاصة دون غيره من الناس حيث تم تعمية الخبر عليهم ، وقد كانت السيدة عائشة لا تعلم بوجهة الرسول التي هو مولّيها، ودخل أبو بكر ليستطلع الخبر منها لا من الرسول (صلى الله عليه وآله) عن ما عزم عليه إلا أنها أجابت لا تعلم ، ولم تسأل !

((**فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أي بنيه: أأمركم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تجهزوه ؟ قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يريد ؟قالت:لا؛ والله ما أدري**))[2]، وهكذا نجد الإمام علي(عليه السلام) كانت له مكانه خاصة من الرسول الأكرم فاصطفاه لسر.

المطلب الثاني: أدب وغضب

ولما أجمع النبي (صلى الله عليه وآله) المسير إلى مكة، كتب حاطب بن بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم أعطاه امرأة وخرجت به ،وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

١- الإرشاد: ج١ : ص١٣٦.

٢ـ سيرة ابن هشام: ج٤ : ص ٣٣

الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليًّ بن أبي طالب والزبير بن العوام فأدركاها عند الحليفة ،واستنزلاها.[1]

((**فسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها، فأنكرته وحلفت أنه لا شيءَ معها وبكت، فقال الزبير: ما أرى ــ يا أبا الحسن ــ معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنخبره ببراءة ساحتها.فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ((يخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّ معها كتابا ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت أنّه لا كتاب معها، ثم أخترط السيف وتقدّم إليها فقال: ((أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنّك، ثمّ لأضربنّ عنقك)) فقالت له: إذا كان لابّد من ذلك فاغرِضْ ياابن أبي طالب بوجهك عنّي، فأعرض(عليه السلام) بوجهه عنها فكشفتْ قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها**))[2]

عندئذ غضب الإمام علي (عليه السلام) لله تعالى واخترط سيفه وتقدّم إليها فقال: ((**أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربنّ عنقك**)).وإذ ذاك أخرجت الكتاب.لو سار الإمام (عليه السلام) على نفس نهج الزبير، لقضى الأمر وعلمت قريش بما عزم عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) من المفاجأة لهم في ديارهم واستعدوا، ولعادوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) يخبرونه ببراءة ساحتها حسب قول الزبير. لكن الرسول الأكرم يعلم علم اليقين بأن الإمام علي (عليه السلام) سيأتي بما أخفته عنهم ولذا كلفه بهذا الأمر الخطير.

المطلب الثالث: الإمام (عليه السلام) يصدع بنداء الرحمة

وعند ما دخل المسلمون مكة لم تحدث هناك معارك ذات شأن وإنما حصلت هناك معارك صغيرة اشترك فيها صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمر

١- المصدر نفسه: ص٣٤.

٢- الإرشاد: ج١ ص٥٧.

وغيرهم ، واصطدموا مع خالد بن الوليد وقد قتل على أثر ذلك قريب من اثني عشر رجلاً من المشركين وفرّ الباقين.[١]

وكان الرسول الأكرم قد عهد لأمرائه أن لا يقاتلوا إلا مَن قاتلهم، وحدد لهم بعض نفر سماهم حيث أمر بقتلهم [٢].وأعطى النبي (ﷺ) ((الراية " في يوم الفتح " سعد بن عبادة ،وأمره أن يدْخُلَ بها مكّة أمامه ، فأخذها سعد وجعل يقول :

اليوم يوم الملحمة اليومُ تستحل الحُرمة

فقال بعض القوم للنبي(ﷺ) : أما تسمع ما يقول سعد بن عبادة؟والله إنّما نخاف أن يكون له اليوم صولة في قريش: فقال عليه واله السلام لأمير المؤمنين (ع) : ((أدركْ ـ يا علي ـ سَعْداً وخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخلُ بها))[٣].

وهكذا أعطيت الراية في فتح مكة لمن يصدع بغير نداء سعد بن عبادة الملتهب، فكان الإمام علي (ع) بالراية خليقاً فهو صاحب راية نبي الرحمة.

المطلب الرابع: لا تأخذه في الله لومة لائم

بعد أن عهد الرسول للمسلمين بأن لا يتعرضوا لحرب أحد إلا من قاتلهم ما عدا نفر كانوا يؤذونه ((**فقتل أمير المؤمنين (ع) منهم الحويرث بن فضيل بن كعب وكان يؤذي رسول الله (ﷺ) بمكة وبلغه أن أخته أمّ هاني قد آوت ناساً من بني مخزوم فيهم الحرث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد (ﷺ) دارها وهو مقنّع بالحديد، فنادى: أخرجوا من آويتم**

١ـ سيرة بن هشام: ج٤ : ص٤٣.

٢ـ المصدر نفسه: ص٤٤.

٣ـ الإرشاد: ج١ ص٦٠؛ كشف الغمة: ج١ ص٢١٨.

فخرجت إليه أمّ هاني وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد الله أنا أم هاني بنت عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأخت علي بن أبي طالب، انصرف عن داري، فقال:أخرجوهم))[١]

إن الإمام علي (عليه السلام) لم يغض الطرف عندما سمع بخبر اختفاء مجموعة من الأعداء الألداء في بيت أخته أم هاني، وإنما ذهب إليهم مغلظاً القول: أخرجوهم ومعيداً هذا القول على أخته، وقد حلفت لتشكونه إلى الرسول الكريم أن الإمام لا يعرف قرابة الا قرابة الله وحينئذ أزاح المغفر عن رأسه فعرفته وذهبت بطلب من النبي أن تبرّ قسمها وعندئذ أكرمها النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: ((**قد شكر الله سعي عليّ وأجرت من أجارت أمّ هاني لمكانها من عليّ**))[٢]. وهكذا نشاهد أن الإمام (عليه السلام) كان شديد الأخذ في جنب الله تعالى.

المبحث الثالث: أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في غزوة حنين " هوازن " في شوال ٨هـ

بقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكة بعد فتحها أيام (**١٥ـــ١٩يوما**) ثم توجه إلى غزوة حنين .[٣]وسببها أنّه لما فتح الله على رسوله مكة وأسلم عامة أهلها أطاعت له قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً فإنّ أهلها كانوا طغاة عتاة مردة مبارزين فاجتمع على رأيهم محاربة الرسول وكان على هوازن رئيسهم مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف قائدهم ورئيسهم عبد يا ليل الثقفي وقيل قائد ثقيف قارب ابن الأسود.[٤]واجتمع مع هوازون وثقيف قبائل نصر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل[٥]. ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عامداً لحنين معه ألفان من أهل الكوفة وعشرة آلاف من

١ـ كشف الغمة:ج١ ص٢١٨؛ بحار الأنوار:ج٤١ ص١٠.

٢ـ كشف الغمة: ج١ ص٢١٩؛ بحار الأنوار: ج٤١ ص١٠.

٣ـ وهو وادي قرب ذي المجاز وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب طائف: تأريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، ج٢ ص٩٩، دار صادر بيروت.

٤ـ تاريخ الخميس: ج٢ : ص٩٩.

٥ـ سيرة ابن هشام: ج٢ : ص٦٩.

أصحابه الذين فتح الله عليهم فكانوا اثني عشر ألفا[١] ، وبعد أن كانت المعركة وأحكم المشركين الخطة بادئ ذي بدء فكمنوا للمسلمين من وراء الصخور وكانوا يتقدمون باتجاه المشركين وكان المسلمين قد أعجبتهم كثرتهم. وأطبقوا الخطة وأخذوا يرمون المسلمين ففوجئوا بتلك الضربات التي وجهها مالك بن عوف وجيشه وانهزم كثير من المسلمين وتضعضعت صفوفهم، وأمر النبي (ﷺ) العباس وكان ذا صوت جهوري ((**فقال: يا عباس اصرخ،يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَمُرة ، قال : فأجابوا : لبيك لبيك**))[٢]وقد كان لنداء الرسول (ﷺ) : أنا النبيّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهو يتقدم على بغلته باتجاه العدو[٣]الدور المؤثر في وثوب المسلمين وعودتهم إلى ساحة المعركة بعد أن أعادوا تنظيم وترتيب صفوفهم ، فانقلبوا إليهم بحملات عنيفة لم تستطيع قبائل ثقيف وهوازن ومن والاها الصمود أمامها مما أدى ذلك في النهاية إلى هزيمة أعداء الله وأتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وإبلهم وفرّ مالك بن عوف في ناس من أشراف قومه حتى دخل حصن الطائف[٤].

والإمام علي (عليه السلام) كان له الراية على المسلمين وظهرت أخلاقه جلية كأنها طلعة الصباح الذي يخرج من الفجر، وكان للإمام دور بطولي لا يقل مكانه عن ما قدمه سابقاً في طريق نصرة الدين وهو التالي :

الإمام علي (عليه السلام) يفقأ عين الحرب

في أثناء بداية المعركة، والخطة التي وضعها مالك بن عوف قائد هوازن وثقيف انهزم المسلمون وفوجئوا وأخذوا إلا أن الإمام (عليه السلام) ومعه عدد قليل صمدوا وصدوا

١ـ تاريخ الخميس: ج٢ : ص١٠٠.

٢ـ سيرة بن هشام: ج٤ : ص١٠٣.

٣ـ تاريخ الخميس: ج٢ : ص١٠٠.

٤ـ المصدر نفسه: ج٢، ص١٠٥

الحملات الآتية باتجاه الرسول الأكرم فكان الإمام (عليه السلام) بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله) يذب عنه بسيفه. ((الذين ثبتوا مع النبي يوم حنين بعد هزيمة الناس عليّ والعباس والفضل ابنه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ونوفل وربيعة أخوه وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وأيمن مولى النبي (صلى الله عليه وآله) وكان العباس على يمينه والفضل على يساره و أبو سفيان ممسك بسرجه عند بغلته وسائرهم حوله وعليّ يضرب بالسيف بين يديه))[1]

وفي أثناء المعركة كان هناك رجل يقاتل ويرتجز كأنه عين الفتنة ومعه راية سوداء قد أوثقها إلى رأس رمح طويل ويتقدم القوم فضربه الإمام وأنهى فتنته التي يثيرها ((وجاء رجل من هوازن على جمل ومعه راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم،وإذا فاته الناس رفعه لمن ورائه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز :

أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباح

فصمد له أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره)) [2]

ويكمل الشيخ المفيد في الإرشاد الخبر ((ثم قال أمير المؤمنين:

قد عَلِم القومُ لدى الصباح أني في الهيْجاء ذو فصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جَرْوَل لعنه الله))[3]، ولذا نجد الإمام (عليه السلام) يفقأ عين الحرب فكانت فاتحة النصر على المشركين فولّوا الدّبر.

١ـ مناقب ابن شهر أشوب: ج٣ : ص٢٦٨.

٢ـ كشف الغمة: ج١ : ص٢٢٢؛ ونحوه في تفسير جوامع الجامع: للطبرسي: ج٢ : ص ٥٥ـ ٥٦.

٣ـ الإرشاد: ج١ ص١٤٣.

المبحث الرابع: أخلاق الإمام علي (عليه السلام) في غزوة الطائف سنة (٨ هـ)

بعد أن فرّ المشركين في حنين. توجه فريق منهم إلى أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعها إلى الطائف، فبعث النبي (صلى الله عليه وآله) أبا عامر الأشعري، وبعث أبا سفيان صخر بن حرب إلى الطائف في جماعة من هذيل وقبائل أخرى،[1] ونُصر المسلمون في أوطاس بينما عاد أبو سفيان منهزماً لائماً ، وذكر الواقدي في مغازيه ، إن الناس ذهبوا أولاً إلى أوطاس فتبعهم المسلمين وبعد أن هزموا في أوطاس تحولوا إلى الطائف[2]،وعندئذ سار النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه إلى الطائف ، وأنفذ أمير المؤمنين (عليه السلام) في خيل ليتولى أمرهم . وقد تم النصر وعاد المسلمون ومعهم السبي والغنائم وفي هذه الغزوة فرش أمير المؤمنين المعهود من أخلاقه وهي كما يلي:

المطلب الأول: اقتفائه أثر إبراهيم الخليل (عليه السلام)

لقد كان الإمام (عليه السلام) متبعاً أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد توجه إلى الطائف منفذاً أمره في خيل، **((أمره أن يطأ ما وجَد، ويكسرَ كلَّ صنم وجَدَه فخرج حتى لقيته خيلُ خثعم في جمع كثير، . فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب، في غبش الصبح، فقال : هل من مبارز ؟فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((من له ؟))فلم يَقُمْ أحدُ،فقام إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فوثب أبو العاصي بن الربيع زوجُ بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : تُكْفاه أيها الأمير ،فقال : ((لا، ولكن إنْ قُتلْتُ فأنت على الناس)) فبرز إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقول :**

إنّ على كُلّ رئيس حقّاً ... أن يُرويَ الصعدة أو تُدَقّا

ثم ضربه فقتله، ومضى في تلك الخيل حتّى كسر الأصنام)) [3].

١ـ الإرشاد: ج١ ص١٥١؛ ونحوه في مغازي الواقدي : ج٢ : ص٩١٤.

٢ـ مغازي الواقدي : ج٢ :ص٩٢٤.

٣ـ الإرشاد : ج١ : ص١٥٢؛ ونحوه في مناقب ابن شهر أشوب : ج٣ : ص١٧٠؛ كشف الغمة : ج١ ٢٢٧.

الإمام ذهب إلى الطائف وقام حسب الأمر النبوي بأن يطأ ما وجَدَ وقام بتكسير الأصنام فجعلها جذاذا كما فعل إبراهيم (عليه السلام) بآلهة قومه الوثنيين . ومن الاتفاقات المعنوية والرمزية أن يفعل الإمام (عليه السلام) بالأصنام كما فعل الخليل (عليه السلام)، وان يكون علي (عليه السلام) الذي لم يسجد لصنم قط هو الذي يكسرها ويعيدها ، إلى أحجار مثلها مثل تراب الأرض.

وكان طريقه لتحطم الأصنام يمر عبر قتل عبدتها وحماتها، وما إن قتل هؤلاء حتى سلط عليها معاول الهدم منه يضرب هذا، ويلقي بذاك وبانت تلك الصخور الصماء متناثرة ، إذن فعلي (عليه السلام) مقتص لأثر إبراهيم (عليه السلام).

المطلب الثاني: يناجيه الله ورسوله

المناجاة لله تعالى التي يقوم بها اولئك الذين لبسوا التقوى ولازموا طريقها فيلجئهم عرفان الجميل أن ينشروا ما بقلوبهم على سجية غير متكلفة ليقدموا ما بحوزتهم من شكر وثناء ودعاء وصلاة.

أما مناجاة الله تعالى لخلقه فلا تتيسر من دون أن يكون ذلك الإنسان على شأن ومرتبة خاصة منه تعالى، وهكذا كان بالنسبة إلى الإمام علي (عليه السلام) عندما رجع من الطائف ليخصه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمناجاته والتي استثقلها بعض الناس، وأجاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، او بحضور الرسول الأكرم ليشهد حقيقة المناجاة ((**عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انتجى علياً(عليه السلام) يوم الطائف فقال أصحابه: يا رسول الله انتجيت علّياً من بيننا وهو أحدثنا سنّاً فقال :ما أنا أُناجيه بل الله يناجيه**))[1].

١ـ الاختصاص: أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد ص٢٠٠؛ تحقيق علي أكبر غفاري؛ وأسد الغابة: عز الدين ابن الأثير، ج٤ : ص٢٧.

لسائل أن يقول ما هي الخصوصية في هذه المعركة والتي جعلت من علي (عليه السلام) يكون على هذا الشرف الرفيع من مناجاة الله تعالى له ؟

إن الخصوصية التي حظي بها علي (عليه السلام) هي أنه في كل معركة يتقدم على أقرانه في خوضها، ففي هذه المعركة قام ببطولات ذات مزايا أخلاقية:

١ـ هو أن الإمام (عليه السلام) تأسى بالنبي الأطهر في أخلاقه الحربية فلم يُلجأ أحداً على مبارزة شهاب عندما أخذ ينادي فيهم بالبراز له عنها قال الإمام (عليه السلام) **((من له ؟فلم يقم أحد فبرز له أمير المؤمنين (عليه السلام) فقتله))** .

٢ـ أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الموقف برز كجندي يقاتل بينهم، وقائد يتقدمهم ويشرف على ميدان المعركة.

٣ـ إن الإمام علي (عليه السلام) قام بكسر الأصنام فهو الموحد الذي جاهد المشركين، وهو الموحد الذي كسر الأصنام، وكان مثله كمثل إبراهيم (عليه السلام) جعل الأصنام جذاذاً.

٤ـ إن الإمام (عليه السلام) امتثل أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) فلم يتعدّ قيد أنملة عندما أمره **((أن يطأ ما وجد ويكسر كل صنم وجده))** فكان كما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يرهب من كثرة عددهم، ولم يتردد في مقاتلة وقتل قادتهم نظير نافع بن غيلان بن مغيث.

٥ـ وهناك خصوصية لعلي (عليه السلام) يعلو بها على غيره من المسلمين؛ قد صرّح بها الرسول لأهل الطائف عندما كان محاصراً لهم **((يا أهل الطائف لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، يفتح الله به الخير))**.[1]

فالرسول الذي طالما ناجى الله، وناجاه الله، له من أمته رجل كنفسه في الطهر والنقاء، وبما أنه كنفس رسول فمن الطبيعي أن تكون له مناجاة من الله على حسب مرتبته

١ـ الاختصاص: الشيخ المفيد، ص ٢٠٠.

ومقامه الكريم.وهكذا نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) كان متبعاً للرسول الأكرم، على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً.

المبحث الخامس: أخلاق الإمام (عليه السلام) في غزوة الفلس ربيع الثاني سنة (٩هـ)

بعث النبي (صلى الله عليه وآله) علي (عليه السلام) على رأس سرية يبلغ تعدادها مائة وخمسين كلهم من الأنصار إلى حي طي وكان فيها الفلس وهو صنم يعبدونه ويضعون عليه ثياب يلبسونه وكان الإمام قد نظم هذه السرية فجعل رايته إلى سهيل بن حنيف ولواءه بيد جبّار بن صخر السلمي ،وخرج ومعه دليل من بني أسد يدلهم على الطريق فسلك بهم طريق فيد حتى انتهى إلى موضع قريب من ذلك الحي . وعندما بثوا عيونهم ليستطلعوا المنطقة ويتقصوا ما حولهم أصابوا غلاماً أسود ، كان عيناً لهم على المسلمين إن قدموا على ديارهم ، وراوغ عليهم ، في الإجابة وفي تعيين ديار آل حاتم ، إلا أن طريقته كشفها الإمام علي (عليه السلام) سريعاً، وبعد التهديد بالقتل اعترف بتضليله الطريق ودلهم عليهم فأسروهم وهدموا الفلس وحصلوا على سبي وغنائم ، وعُرض على الأسرى الإسلام ، فمن أسلم ترك ومن أبى ضربت عنقه ، وكان في السبي أخت علي بن حاتم ،أما علي فوصله الخبر قبل أن يصل المسلمون فهرب إلى الشام [١].

وفي أثنا هذه الغزوة ظهرت أخلاق علي (عليه السلام) ساطعة الأنوار بادية للأبصار وهي:

المطلب الأول:مداولته الرأي مع أصحابه

أعطى الإمام (عليه السلام) لأصحابه كامل الحرية في إبداء وجهات نظراتهم العسكرية ليتمكن من الوقوف على الرأي السليم الذي يضمن للجميع السلامة ويحقق لهم الهدف، ((**فلما انتهى بهم ـــ الدليل ـــ إلى موضع قال:بينكم وبين الحيّ الذي تريدون يومٌ تامٌّ، وإن سرناه بالنهار وطئنا أطرافهم ورعاءَهم، فأنذروا الحيُّ فتفرقوا، فلم تُصيبوا منهم حاجتكم،**

١ـ مغازي الواقدي: ج٢ ص٩٨٤ـ٩٨٩.

ولكن نُقيم يومنا هذا في موضعنا حتى نمسي، ثم نسري ليلتنا على متون الخيل فنجعلها غـارة حتى نصبحهم في عماية الصبح وقالوا: هذا الرأي))[1]

ويكرر الإمام (عليه السلام) تداول الرأي مع أصحابه في موضع آخر عندما شك في صدق الغلام الأسود- الذي جنده آل طي ليكون لهم عيناً- ليرى نظر أصحابه وما انطوت عليه ألبابهم من معرفة وخبرة في مجال الحرب أو إذا استجد لهم رأي ((قال عليٌّ (عليه السلام) اصدُقْنا ما وراءك !قال : أوائل الحيّ على مسيرةِ ليلة طرّادة، تُصبّحهم الخيلُ ومغارُها حين غَدوا .قال عليٌّ (عليه السلام) لأصحابه: ما ترون ؟قال جبّار بن صخر:نرى أن ننطلق على متون الخيل ليلتنا حتى نُصبحَ القوْم

وهم غارّون فنُغير عليهم؛ ونخرج بالعبد الأسود ليلاً، ونُخلّف حُرَيثاً مع العسكر حتى يلحقوا إن شاء الله.قال عليّ(عليه السلام): هذا الرأي)).[2]

ونرى الإمام (عليه السلام) يفسح لهم أن يتداولوا الرأي مع بعضهم ليكتشف جواهر الرجال وكيف يتصرف بعضهم مع بعض في ظروف الحرية وأثناء الاستعداد للهجوم، ((قال القوم بعضهم لبعض: إن أفزعنا الحيّ تصايحوا، وأفزعوا بعضهم بعضاً فتغيب عنّا أحزابهم في سواد، ولكن نمهل القوم حتى يطلع الفجر معترضاً فقد قرب طلوعه فنُغير، فإن أنذر بعضهم بعضاً لم يخفَ علينا أين يأخذون، وليس عند القوم خيلٌ يهربون عليها ونحن على متون الخيل:قالوا: الرأي ما أشرتم به))[3]

وهكذا نلاحظ الإمام (عليه السلام) يقوم بقيادة السرية ويمنحهم الحرية في تداول الرأي مع بعضهم ومعه.

١ـ المصدر نفسه: ص٩٨٥.

٢ـ المصدر السابق نفسه: ص٩٨٦.

٣- المصدر نفسه: ص٩٨٦.

المطلب الثاني: الإمام (عليه السلام) يدل على الخير

بعد أن أغارت سرية الإمام (عليه السلام) مصبحين على بني طي؛ تم إحكام الطوق عليهم فلم يغادروا منهم أحداً، ((**وقد أصابوا من آل حاتم أخت عديّ ونُسيّات معها، فعزلوهنّ على حِدَة**))[1].**وكانت أخت عديّ قد سمعت وظنت بالنبي (صلى الله عليه وآله) خيراً، وكلما((مرّ النبي (صلى الله عليه وآله) تقول: يا رسول الله، هلَك الوالد وغاب الوافد فامنن علينا مَنّ الله عليك !كلّ ذلك يسألها رسول الله (صلى الله عليه وآله):مَن وافدك ؟فتقول : عديّ بن حاتم !فيقول: الفارّ من الله ورسوله ؟ حتى يئستْ.فلما كان يوم الرابع مرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فلم تُكلّم فأشار إليها رجلٌ: قومي فكلّميه!فكلّمته فأذن لها و وصلها، وسألت عن الرجل الذي أشار إليها فقيل: عليٌّ، وهو الذي سباكم، أما تعرفينه ؟ فقالت: لا واللهِ و مازلتُ مُدنية طرف ثوبي على وجهي وطرف ردائي على برقعي من يوم أُسرت حتى دخلت هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه**))[2].

وعندما بلغ الحال بأخت عديّ بن حاتم أن تسرب اليأس إليها، أعاد أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها الأمل بإشارة منه ملئها الرفق ليكون دالاً على الخير وفاعلاً له. وفعلاً تقدمت تلك المرأة لتنال حريتها و وصلها من الرسول الأكرم.

لقد كان الإمام (عليه السلام) ملازماً للرسول (صلى الله عليه وآله) وهذا الأمر جعل منه أن يعرف الأحوال الأخلاقية السامية التي يتنقل فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وأيضاً إن إشارته للمرأة تدل على أنه(عليه السلام) كان مصاحباً للرسول الأكرم في تلك الأيام، وإلاّ فكيف له أن يعرف أن هذه المرأة عندها هذا الطلب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله).

أن الإمام (عليه السلام) يقتنص فرص الخير ليكون دالاً وسبّاقاً إليها حتى ولو كان محل فرصة الخير من نصيب غير المسلمين.

١ـ المصدر نفسه: ص٩٨٧.

٢ـ المصدر السابق نفسه : ص٩٨٩.

المبحث السادس: أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في غزوة بني زبيد (سنة ٩هـ)

هذه الغزوة حدثت في أعقاب غزوة تبوك، حيث استدعى رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأمّره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد، وكان سببها أن عمرو بن معدي يكرب أسلم ثم ارتد وأغار على قوم من بني الحارث بن كعب وعند وصول أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بني زبيد[١]، خرج عمرو برجله يتعرّض للحرب فبرز له الإمام (عليه السلام) وصاح به صيحة انخلع قلبه منها فولّى هارباً وقتل أخوه وابن أخيه وانتهت الغزوة بهزيمتهم وسبي نسائهم، وخلّف عليهم خالد بن سعيد بن العاص [٢].وأما رواية الواقدي فأنها تقول إن الإمام علي (عليه السلام) لقي جمعاً من بني زبيد وغيرهم في أثناء تقدمه إلى اليمن فدعاهم للإسلام وأعلمهم أنهّم إن أسلموا كف عنهم، فأبوا ذلك وقاتلهم، فأظهره الله عليهم فقتل من قتل ، ثم أجابوا إلى ما كان عرض عليهم فدخلوا في الإسلام وأطاعوا بالصدقة[٣].

المطلب الأول:الانضباط الأخلاقي في الحرب

كان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد وجه خالد بن الوليد إلى قبيلة جعفي في نفس المحور الذي تولى فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) الذهاب إلى بني زبيد وكانت جعفي لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين؛ فذهبت فرقةً إلى اليمن وانضمت الأخرى إلى بني زبيد وكان الرسول الأكرم قد أبلغ خالد بن الوليد عندما تلتقي جيوشهم أن يكون تحت إمرة أمير المؤمنين، وعندما وصل الخبر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بتفرق جعفي فرقتين أصدر أوامره الفورية

١ـ قبيلة في ناحية من نواحي صنعاء اليمن حيث كانوا بوادي يقال له كسر؛ الإرشاد: ج١ص١٥٩.

٢ـ الإرشاد: ج١ : ص١٥٩ـ١٦١.

٣ـ مغازي الواقدي : ج٢ : ص١٠٨٢.

بالتوقف ، حيث أدركه رسول الإمام (عليه السلام) إلاّ أن خالد بن الوليد لم يتوقف [1]((**فكتب إلى خالد بن سعيد:تعرّض له حتى تحبسه فاعترض له خالد حتّى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين (عليه السلام) فَعنّفه على خلافه**))[2]. إن الإمام يريد أن تكون الجهود العسكرية محكومة بالتنسيق والتعاون، وذلك لا يتم إلا بالانضباط الأخلاقي في الحرب، والذي يأتي عبر أداء الطاعة لمن هو فوق في سلم المسؤولية العسكرية.

وعندما شاهد الإمام (عليه السلام) الانفلات والتسيب في قيادة خالد بن الوليد حاسبه على ذلك، ليضع حداً لهذه الممارسة غير المسؤولة. وفي هذه الغزوة نشاهد مرّةً أخرى التأكيد على الانضباط والتقيد بالطاعة فقد خرج عمرو فقال: هل من مبارز ؟فنهض إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقام خالدُ بن سعيد فقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمّي أبارزه.فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ((**إن كنت ترى أنّ لي عليك طاعةً فقِفْ مكانك**))**فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فصاح به صيحةً فانهزم عمرو**))[3]

إن خالد بن سعيد رغم نيته الطيبة وتأدّبه في الاستئذان من أمير المؤمنين(عليه السلام) الا أنه لا معنى لكل ما قام به بعد أن نهض الإمام (عليه السلام) وتقدّم لمبارزة ابن معدي يكرب، وتفسر هذه الخطوة من خالد بن سعيد بأنها مبادرة أو اندفاع ، وعليه دعا خالد إن كان يرقب طاعة له فليقف لأنه يعرف العدو الداعي إلى المبارزة ويستطيع أن يهزمه بمنازلة قصيرة وبالفعل هزمه الإمام بصيحته لا بسيفه.

ونستفيد مما سبق أن التزام الطاعة وترجمة ذلك إلى انضباط أخلاقي يدعوا إلى تحقيق نتائج سريعة وحاسمة في ميدان المعركة.

١ـ الإرشاد: ج١ ص١٥٩.

٢ـ المصدر نفسه: ص١٥٩.

٣ـ المصدر نفسه: ص١٦٠.

المطلب الثاني: الإمام علي (عليه السلام) يهدي ويعلم

الرسول الأكرم بعث علي (عليه السلام) وأوصاه بأن يدعوا الناس للإسلام ولا يدخل القتال إلا في حالة الاضطرار إليه فهو رغم أنه كان على رأس سرية مقاتلة الا أنه ومن معه هدفهم هداية الناس فكان من جملة ما وصاه الرسول (صلى الله عليه وآله) هداية الناس وأن تكون هي الهدف الأساس في مقصده ((**فلا تبغ منهم غير ذلك.والله لان يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت!**))[1]

وبالفعل فقد ((**دعاهم إلى الإسلام وأعلمهم أنهم إن أسلموا كفّ عنهم**))[2]

وبعد إباء مؤقت ومعركة صغيرة وقصيرة ((أجابوا إلى ما كان عرض عليهم فدخلوا في الإسلام وأطاعوا بالصّدقة، وأتى بشرٌ منهم للدّين، وعلّمهم قراءة القرآن))[3]ان دخول الناس أفواجاً في دين الله كان نتيجة حتمية للنهج الأخلاقي الذي جسده الإمام (عليه السلام).ويلاحظ وجود نشاط تعليمي لآيات القرآن وذلك يدل على أن الإمام (عليه السلام) قام بتعليمهم الكتاب وما يتضمنه من أسس أخلاقية وتربوية من صلاة وصوم، وزكاة...الخ من التعاليم حتى يكونوا على بيّنة. إن قبول الناس للتعلّم يظهر رغبتهم في الاطلاع والأخذ من الكتاب العزيز الذي يمثل أحد الثقلين في الناس.

وعلى ما أوضحنا نشاهد أن الإمام (عليه السلام) كان مُعلّماً ومَعلَماً للهداية بين الناس.

١ـ مغازي الواقدي:ج٢ ص ١٠٧.

٢- المصدر نفسه: ص١٠٨٢.

٣ـ المصدر نفسه: ص١٠٨٢.

المبحث السابع: أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في غزوة اليمن في (شهر رمضان ١٠هـ)

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إلى اليمن وعقد له لواء وعممه بيده وقال ((**إمض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك**)) فخرج في ثلاثمائة فارس وكانت أول خيل دخلت تلك البلاد،وكان في بادئ الأمر قد لاقى ممانعة وإباء ومقاومة أهل اليمن فاضطر إلى قتالهم فقتل منهم عشرين رجلاً وتفرقوا وانهزموا ، فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا،وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام[١]،وقام الإمام (عليه السلام) فجمع ما أصاب من الغنائم فجزأها خمسة أجزاء[٢].و وافى رسول الله بالموسم ليقدم له تقريراً مفصلاً عن الأحداث واستجابة الناس إلى الإسلام.

وفي هذه السرية ظهرت أخلاق الإمام علي (عليه السلام) كمثل ضوء النهار وهي ما يأتي:

المطلب الأول: أدب السؤال

شارك الإمام (عليه السلام) في غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((**ولم يتخلف عن مَشهدٍ شهده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مذ قدم المدينة، إلا تبوك**))[٣]. وفي قيادته لسريته إلى اليمن - أي بعد مضي تسع سنين وبضعة شهور على تجربته العسكرية كقائد وجندي - يأتي الإمام (عليه السلام) وبأدب جم ليسأل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يصنع إذا قرب من أكناف بلادهم ؟.

١- طبقات ابن سعد: ج١ : ص٤٦٥.

٢- مغازي الواقدي: ج٢ : ص١٠٨٠.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج٣ : ص١١٠٧؛ وأسد الغابة في معرفة الصحابة:عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار إحياء التراث العربي بيروت،ج٤ : ص١٦؛ونحوه في تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق إبراهيم صالح :ص ١٩٩.

فلو كان لغير علي (عليه السلام) مثل هذه التجربة لقدم بما علم إلى تلك البلاد من دون أن يسأل. سيما وأن الرسول الأكرم يأمره بأن يمضي ويزيد الإمام علي (عليه السلام) في ميزان أخلاقه؛ أنه مع هذه التجربة التي لقفها لبّه، ومع أن الرسول الأكرم واثق بما عند الإمام (عليه السلام) من حكمة فأمره أن يمضي ولا يلتفت إلا أن الإمام (عليه السلام)استعلم وعلّمه وعلّم من معه بالأوامر التي يجب اتباعها في أهالي نجران ((**عن أبي رافع، قال لما وجهّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:امضِ ولا تلتفت!فقال عليٌّ (عليه السلام): يا رسول الله ، كيف أصنع ؟**))[1]وتقدّم على سؤاله أدباً في مخاطبة النبي(صلى الله عليه وآله) والتي ربما يغفل عنها بعض المسلمين ومن هنا نعرف أن الإمام (عليه السلام)بسؤاله من النبي (صلى الله عليه وآله) قد كشف على أن هناك أدباً لا محيد عنه على المسلم التزامه، ولا يخاطر برأيه مهما بلغت به التجربة من مقام، وأن يرجع في أموره كلها إلى الله و رسوله.

المطلب الثاني: صبر وتلطف

سمع الإمام (عليه السلام) توصيات الرسول (صلى الله عليه وآله) والتي تلخصت في أن يتسع صدره لكل الاستفزازات الصادرة منهم، وان أقصى ما يصل معهم هو لومهم وإطالة النظر إليهم لعلهم يرجعون . وبعد ذلك يدعوهم اختياراً إلى الله تعالى ويأمرهم بلين في أن يخرجوا صدقة من أجل فقرائهم، وأمره الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)بمداراتهم والرفق بهم ولا يثقل عليهم التكاليف ((**إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تُقاتلهم حتى يقتُلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم، تَلَوَّمْهُمْ ترهم أناة، ثم تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلاّ الله؟فإن قالوا نعم فقل: هل لكم أن تُصلّوا ؟ فإن قالوا نعم فقل:**

١ـ مغازي الواقدي: ج٢ : ص ١٠٧٩.

هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة ترُدُّونها على فقرائكم ؟فإن قالوا نعم، فلا تَبْغِ منـــهم غير ذلك))[١]

في هذه التوصيات الرحيمة لا يوجد شيء اسمه قتال، وإنما يوجد أمر بالصبر والتلطف معهم ، لأن ذلك أجلب لقلوبهم إلى الإسلام من كدح الحرب وكرهها وفي الرواية عـن البراء بن عازب تطبيق لأوامر الرســول .((**فلما انتهينا إلى أوائل اليمن،بلغ القــوم الخـبر فجمعوا له ، فصلّى بنا عليٌّ الفجر ،فلما فرغ صفّنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا ،فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،فأسلمت هَمْدان كلُّها في يوم واحـــد ، وكتب بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً، ثم جلس ،فقال : السلام على همدان ، السلام على همدان !ثم تابع أهل اليمن على الإسلام))**[٢]

وهكذا نشاهد أن الإمام (عليه السلام)بصبره وتلطفه معهم قد هداهم إلى الإسلام.

المطلب الثالث: إنه لأخشن في ذات الله

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شهد للإمام (عليه السلام) ((**إنه لأخشن في ذات الله**))[٣]ليقطع بث شكوى الناس من علي (عليه السلام)الذي تجرّع مرّ الحق، واستلان ما استوعره المترفون.

فما الذي جرى ،أو ما حدا مما بدى ؟

أراد الجيش الذي تبع الإمام (عليه السلام)إلى اليمن أن يكون لهم نفلاً من الخمس بالإضافة إلى ما حصلوا عليه مـن سـهم الغنيمـة، إلا أن الإمـام (عليه السلام) رفـض هـذا الطلـب لان الخمس لله ولرسوله ((**فطلبوا ذلك من عليٍّ(عليه السلام)فأبى وقال:الخمـــس احمِلُـه إلى رســـول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيرى فيه رأيه، وهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُوافي المَوْسِم، ونلقـــاه ويَصـــنَع مـــا أراه**

١ـ المصدر السابق نفسه: ص١٠٧٩.

٢ـ تاريخ الطبري:ج٢ : ص ١٩٧.

٣ـ السيرة النبوية: ابن هشام المعافري: ج٤ : ص٢١٧.

الله))[١]، ماذا في قول علي (عليه السلام) غير الحق وهل في رد الأمر إلى الله ورسوله ما يثير الشكوى منه؟!

وتعجل الإمام (عليه السلام) إلى رسول الله ليزف له بشرى هداية الناس كما تعجل موسى (عليه السلام) إلى ربه ليرضى، **((لّما أقبل عليّ رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة ،تعجّل إلى رسول الله ،واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البُزّ الذي كان مع عليّ رضي الله عنه ؛فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ،فإذا عليهم الحلل،قال : ويلك !ما هذا ؟قال كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال:ويلك !انزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز ، قال :وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم))**[٢]

وعند مُسائلة الأمام (عليه السلام)لأبي رافع عن حقيقة هذا الصنيع ودوافعه **((قال: كلّموني ففرِقت من شكاياهم، وظننت أنّ هذا يسهل عليك ، وقد كان مَن كان قبلك يفعل هذا بهم))**[٣]

إن حبس الخمس عن ذلك الجيش ونهيهم عن ركوب إبل الصدقة إضافة إلى تساهل بعض الأمراء فيما سبق في هذا الموضوع أثار حفيظتهم **((قال أبو سعيد الخدري ــ وكان في تلك الغزوة ــ قال:وكان عليّ(عليه السلام)ينهانا أن نركب على إبل الصّدقة))**[٤]

ونلاحظ في مقابل هذه الشكوى التي تمسك بأذيالها الناس؛ دفاع من الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الإمام علي (عليه السلام) **((عن أبي سعيد الخدري، قال:اشتكى الناس عليّاً رضوان الله عليه،**

١ـ مغازي الواقدي: ج٢ : ص١٠٨٠.

٢ـ السيرة النبوية: ابن هشام المعافري: ج٤ : ص٢١٧؛ وأسد الغابة: ج٤ : ص٢٨.

٣ـ مغازي الواقدي: ج٢ : ص١٠٨١.

٤ـ المصدر نفسه: ص١٠٨١.

فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فينا خطيباً، فسمعته يقول: ((**أيها الناس، لا تشكوا علياً، فو الله أنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى**))[1]

وهكذا نهى الرسول الأكرم الناس، وكف أيديهم عنه لأن علي (عليه السلام) فوق هذه النفثات التي دلقت بها ألسنتهم.

١ـ السيرة النبوية: ج٤ : ص٢١٧.

الباب الثاني

أخلاق الحرب

عند

الإمام على (عليه السلام) أثناء خلافته

الباب الثاني: أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) أثناء خلافته

تولى الإمام الخلافة في ذي الحجة سنة (٣٥هـ) بعد مبايعة الناس له، وبعد مضي خمسة أشهر و واحد وعشرون يوما في جمادي الأولى سنة (٣٦هـ) حصلت معركة الجمل[١] بالبصرة والتي قادها الناكثين بزعامة طلحة والزبير. وانتهت بهزيمتهم. وبعد سبعة عشر شهراً من اقامته في الكوفة بدأت وقعة صفين في سنة (٣٧هـ) [٢] مع القاسطين من الطلقاء وأبنائهم ويقودهم معاوية، فأقام يقاتلهم بصفين مائة وعشرة أيام[٣]، وآل الأمر إلى التحكيم والشقاق. وفي سنة (٣٨هـ) طلع قرن المارقين يقودهم عبد الله بن وهب الراسبي فجاهدهم وقتلهم وتبرّؤا منه وبريء منهم[٤].

وقد واجه أمير المؤمنين هذه القوى الانفصالية ـ بعد أن شقوا عصا الطاعة وألبوا عليه من استطاعوا ـ بنفس الأخلاق التي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلتزم بها في غزواته مع أعدائه. وفيما يلي أخلاق الحرب عند الإمام (عليه السلام) في تلك المعارك الثلاث.

---

١ ـ التنبيه والاشراف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، ص٢٦٩.

٢ ـ وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام محمد هارون،،ص٨٠

٣ ـ مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق الدكتور يوسف البقاعي، ص٤٩٨

٤ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢: ص٢٧٢، دار الندوة الجديدة، بيروت.

الفصل الأول

أخلاق الحرب

في

معركة الجمل

الفصل الأول: أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل ١٠ جمادى الأولى ٣٦هـ.

في أواخر سنة (٣٥هـ)جاء طلحة والزبير فـ ((**استأذنا علياً في العمرة**)) [١]، وعند وصولهما مكة ذهبا إلى السيدة عائشة لتدوير الرأي معها وآخرين من بني أمية ممن شخصوا من المدينة نظير العاص بن سعيد العاصي بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسد ابن أبي العاص ابن أمية ، وخرج المجتمعون بفراق الإمام علي (عليه السلام) والمطالبة بدم عثمان [٢].

وكان تمويل الناكثين قد تولاه يعلى بن منيّة الذي كان والياً على اليمن فقدم من هناك ومعه مال كثير إضافة إلى أربعمائة بعير[٣]. ((**ودعا عبد الله بن عامر بن كريز طلحة والزبير إلى البصرة، وأشار عليهما بها وقال: لي بها صنائع. وكان واليها من قبل عثمان بعد أبي موسى الأشعري**))[٤].

فخرجوا في ثلاثة آلاف رجل من مكة والمدينة [٥]، وبلغ الإمام علي (عليه السلام) مسيرهم إلى البصرة حيث كتبت أم سلمه بذلك[٦]، وفي البصرة جمعوا الجموع ، وهجموا على عثمان بن حنيف عامل الإمام علي (عليه السلام)على البصرة فقتلوا أشياعه، واستولوا على

---

١ ـ انساب الأشراف: احمد بن يحيى البلاذري؛ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ص٢٢٢.

٢ ـ المصدر نفسه: ص٢٢٣.

٣ ـ المصدر نفسه: ص٢٢١.

٤ ـ المصدر نفسه: ص٢١٩.

٥ ـ المصدر نفسه: ص٢٢٢.

٦ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ج١: ص٩٧.

الربذه وذي قار في عدد من الأنصار والمهاجرين ومن التحق بهم من الناس [١]، واستقر أهل الكوفة فنفر له منها عشرة آلاف إلا مائة ولحق بهم أهل البصرة من عبد القيس قريب ألفين فكانوا اثني عشر ألفاً إلا مائة[٢]. وزحف الجيشان في يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين [٣]، في منطقة بالبصرة تسمى الخُريبة[٤]، وبدأ القتال من سحر إلى الظهر وما شوهدت واقعة مثلها [٥]، أو من الظهر إلى غروب الشمس [٦]، وانتهت بهزيمة الناكثين.

وكانت أخلاق الإمام (عليه السلام) في هذه الحرب ظاهرة كالشمس في رابعة النهار وهي ما يلي:

المبحث الأول: أخلاق التعبئة العسكرية عند أمير المؤمنين (عليه السلام).

من الطبيعي أن تكون هناك خطوات في عملية تعبئة الناس إلى المعركة، وقد رافقت تلك الخطوات سمات أخلاقية مسها من شاهدها، أو اطلّع عليها ولو بعد حين وكانت التالية:

المطلب الأول: إعلان التعبئة العامة

قبل البدء بتوضيح هذا المطلب لابد من الإجابة عن السؤال التالي:

ما هي العلاقة بين الأخلاق وإعلان التعبئة العامة ؟ أو بعبارة أخرى هل أن إعلان وتعميم التعبئة يعد من الأخلاق ؟

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص١٠٢ـ ١٠١، تحقيق الدكتور سهيل زكّار .

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٢٦٢.

٣ ـ المصدر نفسه: ص٢٣٩.

٤ ـ البدء والتاريخ: أبي زيد أحمد بن سهيل البلخي، دار الكتب العلمية، ج٢: ص٢٢٢.

٥ ـ تذكرة الخواص: العلامة سبط بن الجوزي : ص ٧٤.

٦ ـ انساب الأشراف: ص٢٤١؛ ونحوه في الكامل في التأريخ عز الدين بن الأثير: ج٢: ص٣٥٠.

إن إعلان التعبئة وتعميمها في معركة الجمل كان لها وجه آخر ، حيث أن الإمام (عليه السلام)حينما بلغه ((**وهو بالمدينة شخوص طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة ؛ استنفر الناس بالمدينة ، ودعاهم إلى نصره فخفّت معه الأنصار**))[1].

لقد تلقى الإمام (عليه السلام) نبأ شخوص طلحة والزبير بأنّه حادث يحتاج إلى إعلان النفير العام كي يكون الناس أمام مسؤولياتهم الدينية الأخلاقية في الدفاع عن الدين ، وفي رعاية حق الإمام (عليه السلام)عند ما بايعوه .

إذن فإعلان التعبئة من أجل أن يكون الناس بمستوى المسؤولية، لإجهاض أي محاولة تريد تشتيت شملهم.

ومن خلال قراءة النصوص الخاصة التي بسطت بها أحداث التعبئة يمكن مشاهدة ظاهرتين أخلاقيتين :

الظاهرة الأولى/ التوقيت المناسب للتعبئة:

بحيث يستطيع أن يجتمع إليه العدد الكافي حتى حين وصوله البصرة ، وقد أعلن عن التعبئة عندما وصل الخبر للإمام بالمدينة كما جاء آنفاً، وفي أثناء طي الإمام (عليه السلام)لذلك المسير الطويل كانت تأتيه الناس زرافات و وحدانا ففي المدينة لحق به سبعمائة من الأنصار ثم أتاه جماعة من طيء وهو بالربذة ولما نزل الثعلبية أتاه الوافد الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فأخبره الخبر عنهم وما حدث بالبصرة ، ولّما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وأيضاً أتاه أهل الكوفة يقدمهم الإمام الحسن (عليه السلام) [2]، وجاءت ربيعة وهو بالبصرة[3].إذن فالتوقيت كان مناسباً لأن

---

١ ـ المصدر نفسه: ص٢٣٣.

٢ ـ الكامل في التاريخ: ج٢: ص٣٢٦و٣٢٩.

٣ ـ أنساب الأشراف: ص٢٣٧.

الإمام (ع) شعر بمسؤوليته في إخبار الناس حتى يستعدوا للاحتمالات المجهولة بحيث يجتمع إليه العدد الكافي إلى حين وصوله البصرة . ويتسنى له عند ذلك مباكرة التصدي للمتصدين .

الظاهرة الثانية / النفس الطويل في التعبئة :

الإمام (ع) قام بإرسال مبعوثين من قبله لتعبئة الناس في الكوفة ففي المرّة الأولى **((بعث عليّ من الربذة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري إلى أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ـــ وكان عامله على الكوفة ـ بكتاب منه يأمره فيه بدعاء الناس واستنفارهم إليه ، فجعل أبو موسى يخذلهم ويأمرهم بالمقام عنه ، ويحذّرهم الفتنة ، ولم ينهض معه أحداً وتوعّد هاشماً بالحبس))**[1]، في هذه المرّة كان الكتاب والأمر موجهاً إلى والي الكوفة أبو موسى الأشعري للقيام بالتعبئة وكان الإمام (ع) ومعسكرة في الربذة .

وعندما كان الإمام يستعد للرحيل من الربذة إلى فيد أرسل كتاباً بعزل أبي موسى الأشعري وصيّر مكانه قرضة بن كعب الأنصاري ، وكان الموفدين هما عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر . ثم المرّة الثالثة وعندما نزل بفيد وجه ابنه الحسن (ع) وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفار أهلها، وعندئذ نفر مع الحسن عشرة آلاف ويقال: اثنا عشر ألفاً)) [2].

إن الأمام (ع) كان قد صبر طويلاً وبأنفاس هادئة حيث كرر المحاولة على الناس من أجل أن يستجيبوا ، أو مَن تأخر عن الاستجابة لأسباب مانعة في وقتها، وحتى يصل إعلان التعبئة إلى أكثر عدد ممكن من أهل الكوفة.

---

١ ـ انساب الأشراف: ص٢٣٤ـ ٢٣٥؛ ونحوه ذلك في الفتوح:لابن أعثم الكوفي: ج١: ص١٠٣.

٢ ـ المصدر نفسه: ص٢٣٤.

وكان تعميم التعبئة مشهوداً فقد أرسل الإمام (عليه السلام) مندوباً آخر ينلب الناس للتعبئة بعد أن أرسل الإمام (عليه السلام) الحسن وعمار وهو مالك الأشتر النخعي ((**فجعل الأشتر لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة إلاّ ودعاهم ويقول اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس**))[١] .

وعليه يتضح أن الإمام (عليه السلام) استخدم الكتب والرسل في دعوة أهل الكوفة والناس كما استخدم المسجد مركزاً لتجمع الناس ودعوتهم للتعبئة بالإضافة إلى التنقل بين القبائل في الكوفة وغيرها من أجل الاستجابة، وكانت التعبئة تحمل وجوه أخلاقية حملت الناس على الاستجابة للدعوات المتكررة.

المطلب الثاني: بيان علل التعبئة

بعد قتل عثمان بأربعة أشهر ذهب كل من .... طلحة والزبير إلى مكة[٢]، بدعوى أنهما يريدان العمرة وما إن خرجا من المدينة ، حتى أعلنا عن ما بيّتوه في انسلاخهم عن البيعة التي قدموها طائعين إلى علي (عليه السلام) . وتعاقدوا مع آخرين في إعلان العصيان والشقاق وساندتهم السيدة عائشة على ذلك.[٣].

الإمام (عليه السلام) قام بتوضيح موقفه منهم وموقفهم منه للناس ليعرفوا الحق فيتبعوه وببيان بليغ تفيض من جوانبه المودة والرحمة، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد بعث ابنه الحسن ليشرح واقع الحال عن لسانه ((إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: **قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً؟وإني أذكر الله تعالى رجلاً رعى حق الله بفرقان، إن**

---

١ ـ الكامل في التاريخ: ج٢: ص٣٢٩؛ والفصول المهمة: الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ: ص٧٣.

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٢١٩.

٣ ـ المصدر نفسه: ص٢٢٢.

كنت مظلوماً أعانني وإن كنت ظالماً أخذ مني والله إن طلحة و الزبير أوّل من بايعني وأول من خرج عليَّ فهل استأثرت بحال أو بدلت حكماً فانفروا فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر))[1].

فالإمام (عليه السلام) يتحدث بذلك اللسان الذي عبر عن هوية الروح السهلة واللطيفة ، ويخفض لهم جناح عطفه ((**إن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني**)). ومرة أخرى يأمر الإمام (عليه السلام) ابنه الحسن (عليه السلام) ليبيّن للناس ما شُبّه عليهم ولعلهم يهتدون بعد أن لفق عبد الله بن الزبير على أهل البصرة مقالة ضالة تائهة تبحث عن صدور موغرة على علي (عليه السلام).

((بلغني إن ابن الزبير قد خطب الناس، وذكر لهم أني قتلت عثمان بن عفان، وزعم لهم أني أريد أن ابتز الناس أمورهم، وقد بلغني أنه شتمني، فقم يا بني فاخطب الناس خطبة موجزة ولا تشتمن أحداً من الناس))[2].

إن ابن الزبير يعبيء الناس ويمرر عليهم تضليله، ويبدي بغضاءه بشتم الإمام (عليه السلام)، أما الإمام (عليه السلام) فيدعوا إلى بيان الأمور على حقيقتها التي لا تحتاج إلى تكلّف وببيان موجز وبعيد عن الشتائم.

نعم هذه التعبئة وعللها فالضعفاء يلجأون إلى التّضليل والشتائم، وأما الأقوياء المحقين ـ علي (عليه السلام) والمؤمنين ـ يستريحون إلى الصدق في القول، ولا يعرفون للشتائم سبيلاً.

وحسبك من علي (عليه السلام) وجحفله المرقلون معه هذا التفاوت من أولئك الذين وطئوا جادة الجاهلية الأولى واحتذوا أمثلتها.

---

١ ـ الفصول المهمة: ص٧٣.

٢ ـ الفتوح : ج١: ص١١١.

وتبرع عمار بن ياسر العنسي ببيان علل التعبئة لأهل الكوفة ((**فقال أيها الناس إنّا إنما خشينا على هذا الدين أن يتعرّى أديمه، وأن يهن من جوانبه، وقد نظرنا لأنفسنا، ورضينا بعلي بن أبي طالب لنا خليفة وإماماً ودليلاً و مؤدّباً**))[1].

إن الصحابي الجليل عمار بن ياسر كان لديه توجس من تعرّي الدين من العروة التي تحافظ على تماسكه.

وعمار كان يعرف مدى جامعية الإمام (عليه السلام) في أن يكون الخليفة الذي يرتضيه الله تعالى، والإمام الذي على الناس طاعته، والدليل الذي يوصل الناس إلى سبيل الهداية والنجاة، والمؤدّب الذي يربي الأمة على نهج الخير. نعم لقد وضع عمار ـ رضوان الله تعالى عليه ـ يده على الجرح عندما أظهر قلقه وخشيته على الدين من أولئك الناكثين الذين نقضوا الطاعة وشقوا عصا الجماعة..

وهكذا نستفيد مما سبق أن بيان علل التعبئة قد بني على أسس أخلاقية رصينة من الوضوح كالمودة والصدق والحرص على الدين من المغرضين.

المطلب الثالث: حرية المشاركة في التعبئة

دعا الإمام (عليه السلام) مبعوثيه لتعبئة الناس اختياراً ولم يجبر أحداً في التطوع إليها، وفي بدىء التعبئة لم يستجب من أهل الكوفة إلا القليل ممن وفا لرعاية الحق، بسبب وجود دعوة معارضة للتعبئة قلدها أبو موسى الأشعري الذي كان والياً على الكوفة آنذاك، عندئذ دعا الإمام (عليه السلام) مالك الأشتر(رض) ليصلح الأمور هنالك عن طريق الجلوس إليه والتحدث معه ((**فقال للأشتر، وكان معه: أنت صاحبنا في أبي موسى**

١ـ المعيار والموازنة : ص١١٧.

والمعترض في كلّ شيّ، اذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسد فخرجا فقدما الكوفة فكلّما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة))[1].

وكان إلى حين عزله يكلّم الناس في عدم الخروج إلى الإمام علي (عليه السلام) وما يريده من التعبئة، وفي كلّ ذلك ترك الناس وشأنهم في أن ينهضوا خفافاً أو يثّاقلوا إلى الأرض، وبعد أن جاء الإمام الحسن (عليه السلام) وعمار إلى الكوفة نهض بعض المؤمنين لحث الناس على تعبئة الدعوة بعد أن لاحظوا أنهم لا يستجيبون لهم بشيء، وعندئذ أثرت مناشدة الإمام الحسن (عليه السلام)والمؤمنين كعمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وحجر بن عدي وغيرهم[2].

إن الإمام (عليه السلام) وصحبه لم يفرضوا على أحد قبول التعبئة، وكانوا يكررون الدعوة إلى الناس لأن واجبهم الشرعي يستدعي ذلك من أجل أن يصيبوا الأجر جميعاً، وليس أدل على ما نقول من زيارة جماعة من طيء للإمام (عليه السلام) منهم من اختار الجهاد وآخرين اختاروا القعود، ومع معرفته بذلك رحب بهم جميعاً ((**لّما نزل عليٌّ بالرّبذة أتته جماعة من طيء، فقيل لعليّ: هذه جماعة من طيء قد أتتك، منهم من يريد الخروج ومنهم من يريد التسليم عليك. قال: جزى الله كليهما خيراً وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجر اً عظيماً))**[3].

وهكذا نلاحظ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) استوعب الجميع بسعة صدره، وترك للناس الحرية في الخيار ـ بعد إبلاغهم ـ بين أن يكونوا أو لا يكونوا معه.

---

١ ـ الكامل في التأريخ: ج٢: ص٣٢٧.

٢ ـ انظر المعيار والموازنة: ص١١٨ـ١٢١.

٣ ـ تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي ، تحقيق كامل سليمان الجبوري ، ج١: ص١١٠؛ والكامل في التاريخ : ج٢: ص٣٢٥.

المطلب الرابع: سلمية التعبئة

منذ بداية الإضطرابات التي حصلت في بعض البلاد التي أرسل الإمام (عليه السلام) إليها عماله؛ كان الإمام قد اتخذ موقفاً سلمياً ((**سأمسك هذا الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً، فآخر الدواء الكي**))[1].

واستمر الإمام (عليه السلام) على هذا النهج، وبدأت التعبئة ضد الناكثين فأرسل وهو بالربذة إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب إليهم: ((**إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً**)) فهذه التعبئة تهدف إلى السلم والإصلاح الذي يُلَمَّ به شعث الأمة و يرُتق به فتقها وعند ما كان الإمام (عليه السلام) بالربذه وأراد المسير منها صوب البصرة ((**قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع فقال : يا أمير المؤمنين أيَّ شيْ تريد وأين تذهب بنا ؟ فقال : أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منّا وأجابونا إليه . قال : فإن لم يجيبونا إليه ؟قال ندعم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال : امتنعنا منهم . قال: فنعم إذاً ، وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول**))[2] ، وحين وصل موكب السلام يتقدمه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذي قار وقدم أهل الكوفة فاستقبلهم الإمام (عليه السلام) بالترحيب وعرض موقفه الأولي من طلحة والزبير ومَن شايعهم ((**دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا هؤلاء من أهل البصرة، فإن يتقوا الله و يرجعوا فذلك ما تريدون، وإن أبو ذلك، نداوهم**

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج١: ص٩٢.

٢ ـ الكا مل في التاريخ: ج٢، ص٣٢٥.

باللين والشدة، ولسنا ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد، إن شاء الله، ولا قوّة إلا بالله.))[١].

وذهب جيش الإصلاح يريد البصرة فإذا هناك بين ذي قار والبصرة من ينتظر قدوم الإمام (عليه السلام) وهم عبد القيس من ربيعة ((**وأصبح علي(عليه السلام) على ظهر حق نزل على عبد القيس فانضموا وسار من هناك يريد البصرة، فقام إليه الأعور بن بيان المنقري فقال: يا أمير المؤمنين ما تريد بإقدامك إلى البصرة ؟ فقال الإصلاح وإطفاء الثائرة لعَل الله تعالى يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، قال: فإن لم يجيبوا ؟ قال: تركناهم ما تركونا. فإن لم يتركونا؟ قال دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم؟ قال : نعم))**[٢].

نعم لقد كانت التعبئة سلمية منذ مراحلها الأولى، وعمل الإمام (عليه السلام) على تفهيم جيشه أنه جاء لرأب الصدع الذي ابتليت به الأمة على أحسن وجه.

لقد كان أمير المؤمنين يتحدث عن الناكثين بلهجة أخوية فيقول عنهم ((**إخواننا من أهل البصرة**)) ، ويتحدث أيضاً عن هدفه من التعبئة ((**فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا**)) كما أنه يعلن عن آلية الإصلاح والسلام ((**نداوهم باللين والشدة**)) ((**وداويناهم بالرفق**)) ، أما في حال تصلب القوم وتزمتهم الأعمى في عدم الاستجابة لما يدعوهم إليه ((**تركناهم ما تركونا**)) ، وليس هذا فحسب وإنما الإمام (عليه السلام) يبقي مجال واحد للحرب وهو الدفاع عن النفس عندما لم يتركوهم ((**فإن لم يتركونا ؟ قال دفعناهم عن أنفسنا**))

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج١، ص١٠٤؛ ونحوه في الكامل في تاريخ: ج٢، ص٣٣٠.

٢ ـ الفصول المهمة: ص٧٦.

إذن الإمام (ع) دشن أعلى القيم في الحرب، من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا فنشد السلام منذ الوهلة الأولى التي دق فيها ناقوص الخطر.

المبحث الثاني: التعاليم الأخلاقية العسكريه عند أمير المؤمنين (ع)

الحرب لها تعاليمها فقد تكون تلك التعاليم عسكريه صرفة لا علاقة لها بالأخلاق، وقد يكون حظ الأخلاق محدوداً في الحرب، أما الإمام علي (ع) له في كل معركة شهدها روح سامية وأخلاق باقية لأنه المعلّم الإنساني الذي كوي بنار الحروب التي أشعلها أعدائه، فوثب بمكارم أخلاقه ليطفيء ما أوقدوه. وفيما يلي استعراضاً للتعاليم الأخلاقية العسكرية:

المطلب الأول: الدعوة للحوار والتعقل

إن أمير المؤمنين (ع) أراد أن تصل الحجة والبلاغ إلى أعدائه ويوقفهم على مرسى الحقيقة، وحاور مخالفيه بالكتب التي أرسلها أو الموفدين عنه، ومن خلال مواجهتهم وجهاً لوجه، وتحدث إليهم في أطر هادئة ومتعقلة.

ففي بداية مسير طلحة والزبير حث المسير إليهما رجاء أن يدركهما ويتحدث معهما أو يناجزهما إلا أن الإمام (ع) لم يدرك الطلب[1] في الوقت الذي هو بالربذه كان الزبير وطلحة في البصرة يحرضان الناس، فقد كتب الإمام (ع) من الربذه إلى طلحة والزبير ((**أما بعد، فقد علمتما، وان كتمتما، أنّي لم أُرِد الناس حتّى أرادوني، ولم أبيعهم حتى بايعوني. وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإنَّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب وان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهار**

---

١ ـ الفصول المهمة: ص٦٩.

الطاعة))[1] وكذلك أرسل الإمام (عليه السلام) إلى عائشة يذكرها بتقوى الله والعودة إلى صوت العقل في الرجوع إلى بيتها[2].

لكن قد يستدرك علينا بالسؤال أن هذه الكتب ليس فيها دعوة صريحة للحوار فكيف استفدنا ذلك ؟

إن الإمام (عليه السلام) لو لم يرغب في الحوار لما أرسل إليهم يذكرهم بأوليات الأحداث ومجرياتها فالإمام يريد أن يفتح الباب للنقاش في كل ما التبس عليهم ولهذا تنزّل في مراسلتهم حتى ولو كانوا يستحقون أن يعاقبوا على فعلهم. ويريد الإمام (عليه السلام) من هذين الشيخين التوجه للحقيقة والانصياع لصوتها عبر مراجعة النفس والتعقل في النظر إلى الأحداث، وإلى موقفهم الذي ركبوا به لجج الفتن راجين عرضاً زائلاً.

إذن قد كانت الرسائل التي يبعثها الإمام (عليه السلام) تهدف إلى فتح باب الحوار والمناقشة إن كانوا جادين فيما يقولون. كما أنها دعوه ضمنية للتعقل في مراجعة الأحداث وتقييمها على حقيقتها، ولو تعقلوا وراجعوا ببصائرهم مجريات الأحداث وما كان منها لوجدوا علياً(عليه السلام) بريء مما سيق إليه ظلماً وعدواناً.

إن الإمام (عليه السلام) **((بعث ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب، فقال له: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لكم : ألم تبايعني طائعاً غير مكره فما الذي رابك منّي ، فاستحلك به قتالي !قال فلم يكن له جواب إلاّ أنّه قال لي: إنّا مع الخوف الشديد لنطمع))**[3].

---

١ ـ نهج البلاغة: ك ٤: ص٥٩٢؛ ونحوه في الفصول المهمة: ص٧١؛ وتذكرة الخواص: ص٧٠.

٢ ـ الفصول المهمة:ص٧١؛ وتذكرة الخواص، ص٧١.

٣ ـ تاريخ أبي مخنف: ج١:ص١٣٣.

إن هذه المحاولة من الإمام (عليه السلام) تشير إلى تمتعه بالقدرة على محاججة الخصم من أجل إعادته إلى رشده ، ولذا لم يكن للزبير جواب لأنه لم يكن مستعد لقبول الحقيقة ، لا سيما وأنه جند الناس على خلافها، وبعد محاولة أخيره من الإمام (عليه السلام) يدعوا الزبير فيها إلى مراجعة ذاكرته وما قاله الرسول عن الإمام (عليه السلام) عليه فاستذكر ذلك وانصرف عن الحرب[1]، وقد كان الإمام (عليه السلام) يطيل الانتظار والترقب لعلّهم يرشدون، أو يرعوا الحق ، وأطلع الناس على ما انطوت عليه سريرته في رغبته بأن يرجعوا إلى عهدهم وميثاقهم الأول ((**أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء كي يرعوا أو يرجعوا، و وبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم، فلم يستحيوا ، وقد بعثوا إلى أن أبرز للطعان ، واصبر للجلاد**))[2].

دعوتان أحدهما للإمام (عليه السلام) تدعوا إلى التعقل والرجوع إلى الحق ورعايته، والثانية للناكثين تدعوا إلى الحرب والضرب والجلاد بعد أن تمادوا في الزلّة وضاقت بهم الأمور إلى الحرب.

المطلب الثاني: عدم شروعه بالحرب

وبدأت ساعة الحرب تقترب بعد أن ضاقت فرص الحوار في معركة الجمل، وبعثوا للإمام (عليه السلام) برسالة تنبيء عن عزمهم على القتال ((**ومن العجب بَعْثُهم إليّ أن أبرز للطّعان ! وأنْ أصْبر للجلاد**))[3].

---

١ ـ تذكرة الخواص: ص٧١.

٢ ـ تاريخ أبي مخنف : ج١: ص١٣٣.

٣ ـ نهج البلاغة : الخطبة ٢٢: ص٦٦.

عندما أبلغ الإمام (عليه السلام) تعليماته الأخلاقية ـ التي كان قد التزم بها في كل موطن ـ إلى جيشه ((**لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وتركُكُمْ إيَّاهُمْ حتّى يبدؤوكم حجّةٌ أخرى لكم عليهم**))[١].

في تلك اللحظات الحمراء، ألقى الإمام (عليه السلام) لجيشه تلك التعاليم التي تدل على مدى روحه السلمية ، ومدى رعايته لإقامة الحجة عليهم في أنهم دعاة حرب ، إن الإمام (عليه السلام) يريد أن يفرق بين الحق الذي يجنح للموادعة وعدم القتل وبين الضلال الذي يركن إلى الحرب ويبدأ بالقتال ، وأروع الأمثال التي ضربها الإمام (عليه السلام) للناس في عدم البدء بالقتال تلك التي كانت في معركة الجمل ، فلقد تأنى الإمام (عليه السلام) طويلاً ،وصبر من أجل أن لا تقع الحرب ؛ ولكن قد وقع المحذور ونشرت القبور ((**لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا ، قال عليّ (عليه السلام) لأصحابه : لا يرمينّ رجل منكم بسهم ، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث إليكم ، وحتى يبدؤوكم بالقتال وبالقتل .فرمى أصحاب الجمل عسكر عليّ(عليه السلام) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضج إليه أصحابه، وقالوا : عقرْتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجيء برجل إليه، وإنه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل .فقال: اللهم اشهد ، ثم قال : أعذروا إلى القوم ، فأتى برجلٍ آخر فقيل : وهذا قد قتل ، فقال : اللهمّ اشهد ، أعْذروا إلى القوم ، ثم أقبل عبد الله ابن بُديل بن ورقاء الخُزاعيّ ، وهو من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحمل أخاه عبد الرحمن بن يُديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي عليّ(عليه السلام) قال: يا أمير المؤمنين ، هذا أخي قد قتل ؛ فعند ذلك استرجع عليٌّ(عليه السلام) ،ودعا بدرع رسول الله (عليه السلام) فلبسها**))[٢].

---

١ ـ المصدر نفسه : ك ١٤: ص٤٩٤.

٢ ـ تاريخ بن مخنف : ج١: ص١٣٦.

ولم ينتهي الأمر عند هذا الحد ، بل أخذ الأمام (عليه السلام) يدعوا لهم بالصبر والنصر وطاف علي (عليه السلام) على أصحابه ، وهو يقرأ: **﴿ أم حسبتمُ أن تدخلوا الجنّة ولما يأتِكم مثلُ الذين ظلموا من قبلكم مستهم البأساء والضراءُ وزلزلوا حتّى يقول الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب ﴾**، ثم قال : ((**أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزّلنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيرا في كلّ أمر . ثم رفع مصحفاً بيده فقال : مَن يأخذ هذا المصحف ، فيدعوهم إلى ما فيه ، وله الجنة ؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم**))[1].

وقتل ذلك الشاب بعد أن أنذرهم ودعاهم إلى ما فيه ، ويذكر المؤرخون أن هناك رجلاً آخر من عبد القيس قد رفع المصحف ودعاهم إلى ترك التعرف وذكر نعمة الله عليهم في الألفة والجماعة وقتل أيضاً[2].

وفي دعاء لعلي (عليه السلام) مليء بالعبرة ، ويكاد الإمام (عليه السلام) يختنق من شدة حزنه ، ويرفع ما به من ألم ممض إلى الله تعالى ((**اللّهم أنهما قطعاني وظلماني ، ونكثا بيعتي ، وألّبا النّاس عليَّ؛ فاحْلُلْ ما عقدوا ، ولا تحكم لهما ما أبرَما ، وأرهما المساءَة فيما أمَّلا وعملا . ولقدِ استثبتُهمُا قبْلَ القِتالِ ، واستأنيتُ بهما أمامَ الوقاعِ، فغمطا النّعمةَ ،وردّا العافية**))[3].

---

١ ـ المصدر نفسه : ج١: ص١٣٦ـ١٣٧.

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٢٤١.

٣ ـ نهج البلاغة :الخطبة ١٣٧، ص٢٥٦.

ويتضح مما تقدم أن الإمام (عليه السلام) ((**لا يبدأ عدوّه بقتال حتى يبدأوه، ولا يحاربهم حتى ينابؤهم**))[١] ، وهكذا نشاهد أن الإمام (عليه السلام) استوطأ مركب عدم الشروع بالحرب فظفر.

المطلب الثالث : رعاية الحقوق الإنسانية

إن رعاية الحقوق الطبيعية للإنسان كانت من التعاليم التي لقن الإمام الناس عليها حتى لا يتجاوزوا المدى ، أو الحدود الأخلاقية ، فربما تجمع النفس بأحد الناس بعد أن يرى زهو الانتصار فيغرق في النيل من عدوه .

التعاليم الأخلاقية والإنسانية كان الإمام (عليه السلام) يؤكد عليها في ميادين الجهاد ، ويرمي الإمام (عليه السلام) إلى أن تكون مستقرة في ضمائرهم دون أن تفارقهم لحظة لأن في رعاية الحقوق أمان وصيانة لأصحابها وعافية وأجر لمن عمل بها .ولذا أمر الإمام (عليه السلام) أصحابه في معركة الجمل أن ((**لا يمثلوا ، ولا يدخلوا داراً بغير إذن ولا يشتموا أحداً ، ولا يهيّجوا امرأة، ولا يأخذوا إلا ما في عسكرهم**))[٢] .

هذه الرعاية للحقوق الإنسانية تثبت أن الذين يجسدون مبادئها هم أصحاب رسالة مقدسة تحترم الإنسان أياً كانت هويته وصفته ، ولا يردفون الحرب في الميدان إلى حرب على الناس الآمنين ، فقام صائح لعلي فقال : ومن أغلق بابه فهو آمن ومن طرح السلاح فهو آمن)) [٣] .

---

١ ـ المعيار والموازنة : ص١٥٨.

٢ ـ انساب الأشراف : ص٢٤٠؛ونحوه في نهج البلاغة : ك١٤، ص٤٩٤.

٣ ـ المصدر نفسه :

هذه الرعاية للحقوق البشرية تصبغ الجيش القوي بصبغة الرّحمة ويشعر الناس الذين قلِمهم أنهم مطمئنون ويستطيعون أن يبدأوا نشاطهم اليومي من دون أن يمسهم نصب ولا مخمصمة .

المبحث الثالث : أخلاق الإمام علي (عليه السلام) بعد انتهاء معركة الجمل

أسفرت معركة الجمل عن حلل أخلاقية عليّه قد خطها عمل الإمام علي(عليه السلام) في لوح محفوظ . وهي الآتية:

المطلب الأول : العفو والإحسان

بعد أن مُني أصحاب الجمل بهزيمة منكرة ، ولّو على وجوههم إلى البصرة ، خائفين مما قد يصيبهم من المصير المجهول ،إلا أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أصدر عفواً عاماً ((**وقام علي حين ظهر وظفر [على القوم]خطيباً فقال : يا أهل البصرة قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة،فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشق عصا الأمة**))[1].

هذه هي أخلاق علي (عليه السلام) ،فهو يقول ويفعل ((العفُو فضيلةٌ))[2]، و ((**العفْوُ أحْسَنُ الإحسانِ**))[3] .

فقد عفى وأحسن إلى السيدة عائشة حيث أنزلها داراً بالبصرة ، وجهزها أحسن الجهاز ودفع لها مالاً كثيراً وبعث معها عدداً من النسوة [4].

---

١ ـ المصدر نفسه : ص٢٦٤.

٢ ـ غرر الحكم ودرر الكلم: الإمام علي (عليه السلام) ،ترجمة محمد علي الأنصاري ،ج١،ح١٢، ص٥.

٣ ـ المصدر نفسه : ج١: ح٣٦٥، ص١٣.

٤ ـ تذكرة الخواص :ص٧٩.

وتشفعت عائشة إلى الإمام (عليه السلام) في عبد الله بن الزبير ـ والذي كان أحد رؤوس معركة الجمل ـ فأرسلت أخيها محمد بن أبي بكر لذلك ((**قالت لأخيها محمد : يا أخي استأمن له علياً ، وتمم إحسانك ، فقال لها محمد : لا بارك الله لك فيه ، ثم سار إلى علي وسأله ذلك ، فقال علي قد أمنته وأمنت جميع الناس**))[1].

ومروان بن الحكم هو الآخر أحد زعماء الناكثين تشفع إلى الإمام (عليه السلام) ((**قال [مروان]:فدخلت داراً ثم أرسلت إلى حسن وحسين وابن جعفر وابن العباس فكلموه فقال : هو آمن فليتوجه حيث شاء . فقلت لا تطيب نفسي حتى أبايعه ، قال فبايعته ثم قال : اذهب حيث شئت**))[2].

وقد أغضى الإمام (عليه السلام) عن أعدائه طلباً للعافية ((**أما إنني قد هممت أن أفتح باب هذا البيت ، فأقتل من فيه ، ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة فضربت أعناقهم صبراً ،قال : فسكتت عائشة ، وسكتت النسوة ، فلم تنطق واحدة منهن**)) [3].

وكان قد علم بابن الزبير وعتبة بن أبي سفيان قبل أن تشفع له عائشة لكنه أغضى عنه ((**فبلغ علياً مكانهما عند عائشة فسكت ولم يعرض لهما**))[4]. وبعد أن رأى جماعة من جيش الناكثين ومنهم مروان بن الحكم ، كرم سيرة الإمام (عليه السلام) وعفوه ، حيث مشى فيهم بسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ؛ عندها اعترفوا بذنوبهم وظلمهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) فأصبحوا نادمين ((**عن هاشم بن مساحق القريشي ،قال :حدثنا أبي أنه لما انهزم الناس يوم الجمل، اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم ،فقال**

---

١ ـ الفتوح : ج١:ص١٢٩؛ ونحوه في بحار الأنوار : ج٤١: ص٥٠.

٢ ـ انساب الأشراف: ص٢٦٣؛ ونحوه في تذكرة الخواص : ص٧٨.

٣ ـ الفتوح : ج١: ص١٣٢.

٤ ـ أنساب الأشراف : ص٢٦٤.

بعضهم لبعض : والله لقد ظلمنا هذا الرجل ــ يعنون أمير المؤمنين (عليه السلام) ــ ونكثنا بيعته من غير حدث والله لقد ظهر علينا فما رأينا أكرم سيرة منه ، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه فيما صنعناه.قال: فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا))[1]، وقد وصف ابن أبي الحديد عفوا الإمام (عليه السلام) فقال : ((وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذَنْب ، وأصفحهم عن مسيء ؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجمل))[2].

المطلب الثاني : لا يجهز على جريح ، ويتفقد الجرحى من أصحابه

قد أشيع بين أهل البصرة أن علي (عليه السلام) لو تمكّن منهم ليجعلنّ أعزة أهلها أذلّة ((واقبل الأحنف بن قيس في جماعة من قومه إلى علي رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة يقولون بأنك إن ظفرت بهم غداً قتلت رجالهم ،وسبيت ذريتهم ونساءهم ، فقال له علي : ليس مثلي من يخاف هذا منه ،لأن هذا لا يحل إلا ممن تولى وكفر ، وأهل البصرة قوم مسلمون))[3].

نظرة الإمام (عليه السلام) إلى أهل البصرة على أنهم قوم مسلمون لهم حرمتهم ؛ وتدل على نظرته الايجابية والسليمة للناس جميعاً، وعلى عكس ما أذيع بينهم من تقولات رخيصة أثبت الإمام (عليه السلام) بسلوكه التلقائي وبأخلاقه التي لا تنفك عنه أبداً انه الأب العطوف والشفيق فأصدر أمره عندما تحسس الفتح ورأى النصر قد لاح ((**نادى مناديه في أقطار العسكر أن لا يتبع مولّ،ولا يُجهزّ على جريح**))[4]، وترك الجرحى متغافلاً عنهم كانوا في دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، وهي أكبر دار في البصرة وفيها كانت

---

١ ـ تاريخ بن مخنف: ج١:ص١٥٠ـ١٥١.

٢ ـ شرح نهج البلاغة : ج١:ص٢٢.

٣ ـ الفتوح: ج١: ص١٠٦.

٤ ـ أنساب الأشراف: ص٢٦٢؛ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ص٢٣.

عائشة ((**لقد هممتُ أن أفتح الباب ، أشار إلى الباب في الدار وأقتل من فيه ، وكان فيه ناس من الجرحى ، فأخُبر بمكانهم فتغافل عنهم فسكت ، وكان مذهبه أن لا يقتل مدبراً ولا يُذفف على جريح**))[١].

فالإمام (عليه السلام) لا يؤاخذ القوم بما ارتكبوه من جرائم في حقه ؛ بل كان سمحاً سهلاً لا يحمل غِلاً على أحد ولهذا فهو يدخل نفسه في ساحات الخير ولا ينتقل إلى ساحات الشر، أما بالنسبة إلى تلك العبارة ((**لقد هممتُ أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه**))، فهو لقطع الألسن السليقة التي سلطتها نساء أهل الجمل كصفية زوج عبد الله بن خلف وغيرها من النساء اللاتي كن معها ولذا عندما أشار إلى الباب سكتت جميع النساء حيث أسقط ما بأيديهن من ذريعة في أن الإمام (عليه السلام) قتل ذويهم ولم يرحم أحداً ، ولو كان كذلك لفعل بالهاربين من الذين اشتركوا في معركة الجمل ،وإلى الجرحى الذين يأوونهم خلف الباب الذي أشار عليه .أما بالنسبة إلى الجرحى من أصحابه فقد كان يتفقدهم ويسأل عنهم، ويرجوا لهم الشفاء ((**عن محمد بن حاطب الجمحي ــ وكان قد شهد الجمل مع عليّ ــ قال: قال علي: يابن حاطب هل في قومك جراح؟ قلت: إي والله . قال: مرهم بالسمن فإني لم أر علولاً مثل السمن للجرح**))[٢].

الإمام (عليه السلام) يهمه أمر أصحابه ولهذا يسأل عنهم وبإمكانه أن لا يتفقدهم لكن ذلك ليس من أخلاق الإمام (عليه السلام). وعليه نعلم أن الإمام (عليه السلام) أعطى الفرصة للجرحى من أعدائه في الحياة بعد تركهم لأن سمته ومذهبه ذلك ، وتفقد أصحابه الجرحى للتخفيف من ألم الجراح التي طُبعت بها أجسادهم .

---

١ ـ الكامل في التأريخ : ج٢: ص٣٤٧.

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٢٥٠.

المطلب الثالث: إخلاء سبيل الأسرى

عندما دارت رحى معركة الجمل طعن الأشتر رجل من بني ضبه يدعى عمرو بن يثرب فألقاه على الأرض واستنقذه قوم من الأزد، فوثب ثم استعرضه عبد الرحمن بن طود البكري فطعنه ثانيه ((**و وثب عليه رجل من سدوس ، فأخذه مسحوباً برجله حتى أتى به علياً** (عليه السلام) **فناشده ، وقال : يا أمير المؤمنين ، اعف عنّي ، فإن العرب لم تزل قائلةً عنك : إنك لم تُجهز على جريح قطّ،فأطلقه ،وقال اذهب حيث شئت**))[1].

أمير المؤمنين (عليه السلام) أطلق سراحه دون مقابل ودون أن يأخذ منه شيئاً ، وكان للإمام (عليه السلام) أن لا يطلقه لكن كرم أخلاقه يدفعه إلى المعروف من فضله والذي ترده العرب في أنه ذو شهامة ومروءة تنأى به عن الإجهاز على جريح طريح أو أسير يرجوا أن يفك قيده فيستريح .

وجيء إلى الإمام (عليه السلام) بأسير آخر ثقيل الخطى فإذا هو ((**موسى بن طلحة بن عبيد الله فقال له : قل :** ((**أستغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرّات ، وخلى سبيله ، وقال : اذهب حيث شئت ، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه ، واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك**))[2].

قمة القيم الإنسانية يؤديها الإمام (عليه السلام) من تلقاء نفسه ودون أن يتكلّف في ذلك مشقة ولا يفرض على غيره من أعدائه غير ما فرضه الله على خلقه من لطيف تشريعه ، ورحاب سعة رحمته ، فيطلق أسيره ، ويؤثقه بما يأمره من التقوى والسلامة فيما يقبل عليه من الأمور.

---

١ ـ تاريخ أبي مخنف : ج١: ص١٤١.

٢ ـ بحار الأنوار: ج٤١: ص٥٠.

وهكذا تنضج براعم أخلاق الإمام (عليه السلام) التي غرسها في الناس فتبسق أورادها وخضرتها العميمة كأنها الربيع الطَّلْق.

المطلب الرابع: عدل وبذل

ضرب الإمام (عليه السلام) مثلاً رائعاً ينهل من فيضه كل إنسان، وذلك بعد أن ظهر على أصحاب الجمل وأراد تقسيم الأموال التي نقلت إلى بيت المال في البصرة فقسمه خمسمائة لكل واحد منهم، وكان سهمه كسهمهم لا يختلف مقدار ذرة من خردل، وجاء رجل ممن لم يشهد الحرب مع الإمام (عليه السلام)، فأراد أن يكون له نصيب من ذلك لأنه كان قد شارك معهم وجدانياً وقلبه مع الإمام (عليه السلام) ، ولم يحالفه الحظ في حضور وقعة الجمل، فأعطاه الإمام (عليه السلام) سهمه من الفيء، ولم يصب الإمام (عليه السلام) شيئاً من ذلك ((**قال أبو الأسود الدؤليّ: لما ظهر عليٌّ (عليه السلام) يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غُرّي غيري...مراراً، ثم نظر إلى المال، وصعّد فيه بصره وصوّب، وقال: أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة، فقُسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقصَ درهماً ولا زاد درهما، كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً.**))[1]، هذا هو العدل العلوي في قسمة المال من حيث الدقة والإحصاء ولكل واحد منهم نصيب معلوم لا يختلف ولا يتخلف عنه .

أما البذل الذي أناخ رحله، وألقى العصا واستقر عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فذلك ما يرويه حَبّة العُرَني ((**قسّم عليّ (عليه السلام) على أصحابه خمسمائة خمسمائة ، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم ، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة ، فقال يا أمير المؤمنين ، كنتُ شاهداً معك بقلبي ، وإن غاب عنك جسمي ، فأعطني من الفيء**

---

١ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج١: ص٢٤٩.

شيئا ، فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم ، ولم يصب من الفيء شيئاً))[١]، هذا هو البذل من ذلك الغدير المترع المتدفق الذي يجثوا على ضفته كل من يريد أن يرتوي من عذب مائه المعين .

يذكر أن التقسيم لغنائم شمل فقط ما وجد في عسكر الجمل دون أن يمتد إلى غيره[٢].

المطلب الخامس: يعتب ويؤنب

بعدما انتزع الإمام (عليه السلام) النصر من مخالب الناكثين، أنّب ووبخ أهل البصرة على ما فرطوا في جنبه ((**ودخل عليٌّ البصرة، وخطبهم فقال: يا أهل السبخة، يا أهل المؤتفَكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة، يا جُند المرأة يا تُباع البهيمة**))[٣].

وهذا التأنيب لأهل البصرة بعد أن شاهد منهم قوة على مكافحة الحق ومناجزته، ولم يكن من أخلاق الإمام (عليه السلام) أن يتلوّم قوم من دون ذنب ارتكبوه.

وقصد الإمام (عليه السلام) من هذا التأنيب أن يزحزحهم عن حوزة الباطل، بإفراغ التأنيب على أودية صدورهم والتي فتحت شعابها للباطل.

وعند دخول الإمام (عليه السلام) إلى الكوفة في يوم الاثنين لستة عشر خلت من رجب سنة (٣٦هـ)، وكان معه يومئذٍ أصحابه الذين نصروه ووقروه ، فدخل على المسجد الأعظم فيها وحمد الله وأثنى عليه ما أولاه من نعمة النصر على الأعداء، وذكر الدنيا ومنزلها والآخرة ومقامها ، ثم تعرّض للذين قعدوا عن نصرته (عليه السلام):((**وإنه قد قعد عن**

---

١ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٢٥٠.

٢ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٢٥٠.

٣ ـ البدء والتاريخ: ج٢: ص٢٢٤.

نصرتي رجال منكم، وأنا عليهم عاتب، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهــون حــتى يعتبوا، ونرى منهم ما يرضي))[١].

إن عتب الإمام (عليه السلام) كان على الذين ظن منهم النصرة والصلاح ، فلـم ينهضـوا لنصرته لسبب وآخر، وشاءت الأقدار أن يسير الإمام (عليه السلام) ظهر نجران الكوفة ، ويكون سليمان بن صرد الخزاعي في طريقه ((**وتلقى سليمان بن صرد الخزاعي علياً وراء نجران الكوفة ، فصرف عليّ وجهه عنه حتى دخل الكوفة ، وذلك إنه كـان ممن تخلف عنه ، فلما دخل الكوفة عاتبه وقال : كنت من أوثق الناس في نفسـي . فاعتذر وقال : يا أمير المؤمنين استبق مودتي تخلص لك نصيحتي))**[٢] .

أمير المؤمنين (عليه السلام) يعتب على سليمان بن صرد ؛ لأنه كان من شيعته وعشيراً لـه ، ومن غير المعهود أن يتخلف عن نصرة الإمام (عليه السلام) لاسيما وأنه بعث مراراً إلى تعبئة الناس في الكوفة ، وهكذا نلاحظ أن العتب والتأنيب يصدر من الإمام (عليه السلام) حسب قرب أو بعد الناس من الحق .

المطلب السادس: شكره وتقديره

شكر الإمام (عليه السلام) الجهود المبذولة والمواقف الشجاعة لأصحابه مـن أهـل الكوفـة وغيرهم ، ممن تطوعوا في سبيل إعلاء كلمة الله ، حيث أن أهل الكوفة جاءوا كغيرهـم بعد طي مسافات طويلة متجشمين ، وعثاء السفر ومشقة الطريق ((**وجزاكم الله أهل مِصْرٍ عن أهْلِ بيت نبيِّكُمْ أحسنَ ما يَجْزِي العاملين بطاعتِهِ ، والشاكرين لنعمتــه ، فقد سَمِعْتُمْ وأطعتُمْ ، ودُعِيتُمْ فأجَبْتُمْ))**[٣].

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢: ص١٣٨؛ ونحوه أنساب الأشراف: ص٢٧٣.

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٢٧١.

٣ ـ نهج البلاغة: ك ٢: ص٤٨٠.

تقدير أمير المؤمنين لموقف أهل الكوفة ، هو في واقعه شكر لله ، وتقدير لكل طاعة يبذلها الناس؛ لأنها تصب في صالح الإسلام وخدمته . ومن أجل أن يحث أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس على الاستمرار في الطاعة ، قدّم تقديره وشكره لهم، إن هذه الأخلاق في شكر الناس ، تعرب عن مدى إدراك الإمام (عليه السلام) لقيمة ما يؤديه الناس من أعمال تؤول إلى خدمة الدين الحنيف .

الفصل الثاني

أخلاق الحرب

في

وقعة صفين

الفصل الثاني: أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في وقعة صفين آخر ذي الحجة أو غرة صفر سنة ٣٧هـ .

بعد مضي ستة أشهر وبضعة عشر يوماً من نزول أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة التقى جيش الشام بصفين [١]بقيادة معاوية بن أبي سفيان ومعه الطلقاء وأبنائهم وأعراب الشام. بعد أن أعطى الإمام (عليه السلام) فرصة للصلح فكان عدد الرسائل التي بعثها الإمام (عليه السلام) إلى معاوية وقرينه عمرو بن العاص من أجل إقرار السلم والوقوف على حقيقة ما عزموا عليه (١٦) رسالة ...وخرج من الكوفة في تسعين ألفاً وجاء معاوية في ثمانين ألف رجل [٢]، أو على ما في كتاب وقعة صفين سار الإمام في خمسين ومائة ألف من أهل العراق، ومعاوية في نحوٍ من ذلك من أهل الشام حتى توافوا جميعاً بقُناصرين إلى جنب صفين [٣]. وكان ذلك في النصف من المحرم[٤]، من سنة ٣٧هـ.

وكان المقام بصفين مائة وعشرة أيام، وعدة الواقع فيها بين أهل العراق والشام سبعون وقعة[٥]. وانتهت هذه المعركة برفع المصاحف وإجراء التحكيم بعد أن خلفت ورائها آلاف القتلى من الجانبين.

وسار أمير المؤمنين بأخلاقه النبيلة التي يعشوا إلى ضوئها المؤمنين وكانت كالآتي:

---

١ ـ مروج الذهب: ص٤٩٨.

٢ ـ البدء والتأريخ: ج٢: ص٢٢٤.

٣ ـ وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص١٥٧، المؤسسة العربية ـ ألقاهره :ط٢ـ١٣٨٢ هـ ق.

٤ ـ الفتوح: ج١: ص٢٣٦.

٥ ـ مروج الذهب: ص٤٩٨.

المطلب الأول: المراحل الأخلاقية للتعبئة العسكرية عند الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين

تم الإعداد والتهيئة للناس تمهيداً للاحتمالات التي قد تحصل في حرب.البغاة المارقين بقيادة معاوية. وقد مرت التهيئة بأطوار مختلفة تعاضدت جميعاً في تكامل جيش الإمام (عليه السلام) وهذه المراحل هي:

أولاً: مرحلة الخطاب الأخلاقي

بعد أن كوّر نجم السلم ولاح للإمام (عليه السلام) ان معاوية عازم على الحرب ، أرسل الإمام إلى عماله في التعبئة ((**ثم كتب علي (عليه السلام) إلى عماله يأمرهم بالمسير إليه ، وأعلمهم أنه يريد أن يسير إلى الشام لمحاربة أهلها ، فأقبل عليه عبد الله بن عباس من البصرة ، ومخنف بن سليم من اصفهان ، وسعيد بن وهب من همدان، فاجتمع إليه عماله من جميع البلاد التي كانت في يده ، وآخر من قدم من عماله الربيع بن خثعم ، قدم من الريبأربعمائة رجل أو يزيدون**))[1]

إن الإمام (عليه السلام) يستقدم أصحابه ويعلمهم الوجهة التي هو موليها، ولم يكتم عليهم أمره حتى إذا نزلوا عنده أخبرهم بالخطب النازل. كما أن إرسال الكتب وإن كان متعارفاً حينذاك، إلا أن طريقة الإمام (عليه السلام) في إرساله الرسل وكتابته إليهم بأن يستخلفون من يثقون به بعد مجيئهم ينبئهم من جهة أخرى بأنهم موضع ثقة الإمام (عليه السلام) لاستخلافه إياهم. ((**كتب إلى عماله في القدوم عليه واستخلاف من يثقون به**))[2]، و ((**فاستخلف على عملك أفضل أصحابك في نفسك واقبل إلينا**))[3]

١ ـ الفتوح ابن أعثم: ص٢٠٠ـ ٢٠١؛ ونحوه في أنساب الأشراف: ص٢٩٣و٣٠٠.

٢ - أنساب الأشراف: ص٣٠.

٣ ـ المعيار والموازنة: ص١٢٤.

وكان لخطاب الإمام (عليه السلام) الأخلاقي الذي ضمّنه كتبه وحمّله رسله دور بليغ في تعبئة الناس حيث كتب فيها أفاعيل القوم ومخالفتهم للمعروف، وما يهدف له الإمام (عليه السلام) من معالجة لهم في هدم أبنية البغي والعدوان[١].

وكان الإمام (عليه السلام) له ظنّ حسن بالناس، الأمر الذي ساعد أيضاً على استجابتهم لدعوته ومما يؤيد ما نقول أن الإمام (عليه السلام) عندما نزل على أهل المدائن أمر الحارث الأعور فنادى فيهم ((**إن وافوا أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه فحمد الله وأثنى عليه [ثم] قال: أما بعد فإني قد عجبت لتخلّفكم عن إخوانكم وانقطاعكم عن مصركم في [هذه] المساكن الظالم أهلها، أكثر سكانها لا معروف يأمرون به ولا منكر ينهون عنه. فقالوا: يا أمير المؤمنين كنا ننتظر أمرك**))[٢].

إن الإمام (عليه السلام) لولا حسن ظنه بالناس لما تعجب من تخلّفهم وانقطاعهم، وأجابوا بعد خطابه الذي أولاهم فيه ثقته وظنه الحسن.

نعم لقد كان زاد علي في سيره للحرب والتعبئة لها أخلاقه التي عجنت بطينته الآدمية وجبلت عليها روحه اللطيفة العذبة، ففشت وفاح عرفها بين الناس.

ثانياً: المرحلة التشاورية

المشورة شيء حسن ، وأحسن ما فيها الرأي السديد ، وسماع الإنسان للإنسان ، وأجمل ما فيها حُسن الصغو وإطالته وكل هذا قد جسده أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الإمام الذي يركن العلماء إلى رأيه ، إن أمير المؤمنين كان يدفع بأصحابه إلى المشورة ، ويثير

١ ـ المصدر نفسه: ص١٢٤؛ وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣: ص٢٠٣.

٢ ـ المعيار والموازنة : ص١٣٢-١٣٣.

فيهم النصح والتواصي بالحق ، فهم في نظره ((**فأشيروا عليّ فإنكم ميامين الرأي راجحي العقل مقاويل بالحقّ، مباركي الفعل والأمر**))[١]

فانبرى المشيرون من أصحابه بما جادت به قرائحهم، واخذوا يعرضون ما قطفته عقولهم من ثمر جني في الرأي الحصيف فكانوا أكثرية ساحقة من تأييد الإمام (عليه السلام) بالذهاب إلى سوح الوغى من أجل انتزاع النصر من المارقين الذين قلبوا الأمور. ((**فقام إليه الأشتر فقال: إنّ جميع من ترى من الناس شيعتك و ليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك وإذا شئت فسر بنا إلى عدوّك، فو الله ما ينجوا من الموت من خافه ولا يعطي البقاء من أحبه ... ثم قعد. فقام عديّ بن حاتم الطائي: فقال يا أمير المؤمنين ما قلت إلاّ بعلم ولا دعوت إلاّ إلى الحقّ، و ما أمرت إلاّ برشد فان رأيت تستأني هؤلاء القوم وتستديمهم حتى يقدم عليهم رسلك ، ويقدم عليهم كتبك فعلت ، فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم ، والعافية أوسع لنا ولهم ، وان يتمادوا في غيّهم ، ولم ينزعوا عن شقاقهم ألقانا ذلك وقد تقدّمنا إليهم بالعذر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ...**

وقام زيد بن حصين الطائي ــ وكان من أصحاب البرانس ــ فقال: لعمري لئن كنّا في شكّ من قتال من خالفنا [و] لا تصح لنا النيّة في قتالهم حتى نستأنيهم ونستديمهم ..

ثم قام عمار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إن استطعت فلا تقم يوماً واحداً، أشخص بنا قبل استعار [نار] حرب الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة...))[٢]

---

١ ـ المعيار والموازنة: ص١٢٥.

٢ ـ المصدر نفسه: ص١٢٥ـ١٢٩؛ ونحوه في الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج١: ص١٩٦ـ ٢٠٠.

ثم جاء دور بعض أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل قيس بن سعد بن عبادة، ويزيد بن قيس الأرحبي، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وآخرين.

وأدلى الجميع بكامل الحرية، وكان الإمام (عليه السلام) يطيل الاستماع إليهم فما أن يقعد أحدهم بعد عرض رأيه حتى يقوم الآخر.

ومما يدعو للانتباه أن أصحاب الإمام (عليه السلام) عند عرض مشورتهم له انتقلت بهم مشاعرهم إلى إظهار ولائهم وحبهم الشديد له، فكان رأيهم مضافاً إلى جودته مرفقاً بالولاء.

وعندما قلب الإمام (عليه السلام) الرأي وضرب بعضه ببعض؛ اختار المسير، لكنه أراد أن يمنح معاوية فرصة أخرى إضافة إلى الفرص التي ضيعها في الاستجابة لنداءات الإمام المتكررة؛ فأراد رسولاً يوفده أحكمته التجارب والعبر ((**[وأقبل علي رضيّ الله عنه] على أصحابه فقال: إنكم قد علمتم أن البغي لا خير فيه، ولكن أشيروا علي برجل قد أحكمته التجارب أوجّه به إلى معاوية فلعله أن يرتدع عما هو عليه، فإن فعل، و إلا فما أقدرنا على ما نريد من حربه. فوثب جرير بن عبد الله البجلي فقال: يا أمير المؤمنين ابعثني إليه رسولاً، فإنه لم يزل منتصحاً و واداً، فآتيه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر، ويلزم الطاعة**))[1].

إن الإمام (عليه السلام) فاتحاً صدره للجميع في إبداء المشورة والنصح من أجل أن يرتدع معاوية عما هو عليه من بغي وضلال.

وبالفعل تم اختيار جرير البجلي لهذه المهمة السلمية بعد توصية الإمام (عليه السلام) له بأمور[2]. و تجمعت القبائل وأتى المتطوعون فرأى بعض أصحاب الإمام (عليه السلام) أن الأمر

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص١٥٣؛ ونحوه في الغارات: ص٢٧.

٢ ـ المصدر نفسه: ج١: ص١٥٤.

قد حان للمسير إلى معاوية، فجاءوا يظهرون طاعتهم وأهبتهم ((**فسر بنا إليهم وفقك الله لما تحب وترضى، قال: فأطرق علي ساعة، ثم قال: إنه ليس يتهيأ لي المسير إليهم ورسولي عندهم، وقد وقّتّ لرسولي وقتاً لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً أو عاصياً، فاسكنوا ولا تعجلوا، قال: فسكت الناس**))[1]

والبعض أخذ يعرض رأيه تبرّعاً على الإمام (عليه السلام) من أجل أن يسيروا، ((**دخل يزيد بن قيس الأرجي على عليّ بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، نحن على جهاز وعِدّة، وأكثر الناس أهل قوة ومن ليس بمضعف وليس به علّة. فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكره بالنخيلة؛ فإنّ أخا الحرب ليس بالسؤوم ولا النّؤوم، ولا مَن إذا أمكنتهالفُرصُ أجَّلها واستشار فيها، ولا من يؤخر الحرب في اليوم إلى غدٍ وبعد غد. فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس، وقال ما يعرف، فتوكّل على الله وثِق به، وأشخص بنا إلى هذا العدوِّ راشداً معاناً؛ فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة... ثم قام عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي فقال: ((يا أمير المؤمنين، أن القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا**))[2]

ومن هنا نلخص إلى أن أمير المؤمنين كان يربي الأمة وأبنائها على إبداء المشورة والنصح لقادتها، كما يعلم القادة أن يكرروا الاستماع و الصغو بأحسن ما يكون، وإعطاء الفرصة في إفراغ مشورتهم، وقد مارس الإمام (عليه السلام) كل ذلك من أجل الخروج إلى رأي سديد وإن كان الإمام (عليه السلام) لا يحوجه الرأي، لكن الإمام رسم صورة للإنسان الذي يبحث عن العذر والتسامح رغم اندفاع كثير من أتباع الإمام (عليه السلام) إلى التعجل بالذهاب إلى ميادين الحرب.

---

١ ـ المصدر نفسه: ج١: ص١٥٩.

٢ ـ وقعة صفين: ص١٠١ـ ١٠٢.

ثالثاً: مرحلة العزم والنظم

سنمهد السبيل لإيضاح هذه المرحلة بالسؤالين التاليين :

ماذا نقصد بالعزم الذي ظهر كمرحلة أخلاقية ؟ وماذا نعني بالنظم التي لها دورها في وضوح الأخلاق ؟

بعد ابداء المشورة من أولي الحجى ، وفوز الأغلبية الساحقة في رجاء أمير المؤمنين للذهاب إلى مقابلة معاوية وإيقافه عند حده ، قرر أمير المؤمنين المسير إليه فعزم وتوكل على الله ((**فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين**))[1] فخطب في الناس وبيّن لهم أن كرامة الإنسان لا تكون إلا بأداء حق الله تعالى وأمرهم بأن يأخذوا حظهم من الطاعة بهذا المسير المقدس إلى جهاد المارقين ((**لا قوة إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفِه نفسه ، وتناول ما ليس له وما لا يدركه : معاوية وجنده ، الفئة الباغية الطاغية ، يقودهم إبليس ، ويبرق لهم ببارق تسويفه ، ويدلّيهم بغروره**))[2] المسير الذي اختاره الإمام (عليه السلام) يستند إلى حول الله وقوته ومشيئته والمقصد الذي يستبقون السير إليه هم جنود الفئة التي يقودها إبليس فإذا كان هذا حقيقة المنطق والمقصد عند علي (عليه السلام) وجنده فسيكون العزم الذي يقودهم ويسرع بهم مأخوذاً من أخلاق ذلك الدين حيث أن أخلاق الدين تدعوا الإنسان ليصطبغ بـ ((**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**))[3] وتلك الصبغة هي الحلية التي يتزيّن بها المؤمنين .

أما المقصود بالنظم فهي عبارة عن ترتيب القوات وتنسيق جهودها في المسير، إن الأعداد الغفيره من المتطوعين والتي ناهزت على التسعين ألف مقاتل تحتاج إلى تنظيم

---

١ ـ آل عمران: ١٥٩.

٢ ـ وقعة صفين: ص١١٣.

٣ ـ البقرة: ١٣٨.

وترتيب صفوفها، ومن غير المنطقي أن يترك رواحهم هملاً حيث أن ذلك يؤدي إلى التسيب وإلى ترويع الناس الآمنين الذين سيكونون في مسير القوات ولذا وضع أمير المؤمنين (عليه السلام) الأمراء على الأجناد وكتب لهم ((**أما بعد فإني أبرأ إليكم وإلى أهل الذمة من معرة الجيش ، إلا من جوعه الشبع ، ومن فقرٍ إلى غنىً ، أو عمى إلى هدى ؛ فإن ذلك عليهم . فاعزلوا الناسَ عن الظُّلم والعدوان، وخذوا على أيدي سفهائكم، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى الله بها عنّا فيردَّ علينا وعليكم دعاءنا**))[1].

الإمام علي(عليه السلام) يريد لأمرائه ومن بمعيتهم أن يحكموا نظم أمورهم،و أن لا يكون هناك تعدي وحيف يلحق بالناس ، وان يلزموا اليقظة والحذر من الإنفلات الأخلاقي والذي ينتهي مردوده السلبي على الجميع .

وعمل الإمام (عليه السلام) في إلتزام توزيع المسؤوليات وإعطائها لذوي التجربة فللنداء بين الناس يأمر الحارث الأعور ، ولحشر الناس العسكر يعين صاحب شرطته مالك بن حبيب اليربوعي وللناس في الكوفة يستخلف عقبة بن عمرو الأنصاري ، وللخروج بالناس يقودهم الإمام (عليه السلام) بنفسه . وعندما يذهب إلى النخيلة و يعسكر فيها يضرب مقداراً من الوقت للحوق القوات به وترتيبها ويضع للمقدمة زياد بن النضر وشريح بن هانئ، ويوصي بتنسيق الجهود بينهما ويحدد مسؤولية كل منها في الإئتلاف والاختلاف[2]و وصل الحال في نظم العسكر أن وجّه قوات من أجل إعلام الناس وتسكينهم خشية أن تكون معّرة وانفلات من بعض الجيش أو يرعبوا من هيبة الجيش القادم الذي سيمر من مسالك قراهم ومدنهم ((**و وجّه معقل بن [قيس]** الرياحي

---

١ ـ وقعة صفين: ص١٢٥.

٢ ـ وقعة صفين: ص١٢١ـ ١٢٤.

في ثلاث آلاف لتسكين الناس وأمانهم ، وأمره أن يأخذ على الموصل ونصيبين و رأس العين حتى يصير إلى الرقة ؛ ففعل ذلك))[١]

ومن هنا نلاحظ أن النظم ـ التي أدخلها الإمام (عليه السلام) على مسير القوات حتى حين وصولهم إلى النقطه الجغرافية المفروضة ـ تساهم في السيطرة على السلوك الجمعي للقوات، وتؤدي إلى مراقبة ورصد أي تعدي قد يحصل ، وتضفي هذه النظم الهيبة والوقار و السكينة على القوات المارة عبر المدن والقرى .

المبحث الثاني: المباديء الأخلاقية عند الإمام علي (عليه السلام)

حرب صفين هي حرب بين القيم الإسلامية والتي مثلها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبين الأعراف الجاهلية التي مثلها الطلقاء وأبنائهم بزعامة معاوية وكما قال ابن عباس في رسالة جوابية رداً على عمرو بن العاص ((**فإن هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ، بدأ عليّ بالحق وانتهى فيها إلى الغدر به، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف**))[٢]

نعم لقد كانت بديهة الإمام علي (عليه السلام) السلم ، أما معاوية فكانت بديهته البغي.

وفيما يلي استعراضاً للمباديء الأخلاقية التي تمسك بها الإمام (عليه السلام) :

المطلب الأول:مبدأ الإستناد إلى الكتاب والسنة

استند الإمام (عليه السلام) إلى الكتاب والسنة في دعواته المتكررة إلى معاوية ، من قبول الحق والإصغاء إلى ندائه ، في حين لم نجد معاوية يدعوا إلى الكتاب والسنة في رفض خصومته المفتعلة ضد الإمام (عليه السلام) إلاّ في موقف واحد عندما رأوا أنهم خسروا الجولة مع الإمام (عليه السلام) ميدانياً فاستغلوا الكتاب ليرفعوه في سبيل الحؤول دون تقدم القوات

---

١ ـ أنساب الأشراف: ص٢٩٦.

٢ ـ المصدر نفسه: ص٣٠٨.

التي تواصل سحقها لجيش معاوية((فلم يكن القتال أوّل فاصل لنزاع للأمّة قبل الرّجوع إلى محكمات الكتاب وما فيه فصل الخطاب من السنّة المباركة، ولذلك كان مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) يُتمُّ عليهم الحجّة بكتابه وخطابه منذ بدء الأمر برفع الخصومة إلى الكتاب الكريم و هو عدله ، و كان يخاطب وفد معاوية ويقول : ألا إنّي أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه . ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية ومَن قبله من قريش قوله: ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيِّه ، وحقن دماء هذه الأمّة . فلم يعبئوا به إلاّ بعدما اضطرّوا إلى التترّس بهما، وقد أخبر بذلك الإمام (عليه السلام) قبل وقوع الواقعة فيما كتب إلى معاوية: وكأنّي بك غداً وأنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابي إلى كتاب الله تعظمونه بألسنتكم ، و تجحدونه بقلوبكم))[1]

الإمام (عليه السلام) كان جاداً في الدعوة للكتاب والسنّة، من أجل دخول معاوية و أتباعه إلى ظل الطاعة، والابتعاد عن دائرة السخط الإلهي . وهذا الهدف النبيل يعكس رغبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في هداية القوم إلى إصابة الحق، ويدخل في هذه الرغبة عنصرأخلاقي آخر وهو الشفقة التي خرجت منها الرغبة الصادقة. وإليك طرفاً مما كتبه الإمام (عليه السلام) إلى معاوية حين نزل على شاطيء الفرات ((وأني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن قبلتم أصبتم رشدكم، وأخذتم حظكم ، وإن أبيتم إلاّ الفرقة ، وشق العصا لهذه الأمة ، لم تزدادوا من الله إلا بعداً ، ولم يزدد عليكم إلا سخطاً ، والسلام))[2].

---

١ ـ الغدير العلامة عبد الحسين الأميني النجفي، دار الكتاب العربي؛ بيروت، ط٥ـ ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.ج١٠: ص٢١٦ـ ٢١٧.

٢ ـ الفتوح ابن أعثم، ج١: ص٢١٧؛ والمناقب: الحافظ لموفق بن أحمد الحنفي المعروف باخطب خوارزم، مكتبة نينوى الحديثة: ص١٧٥.

ومما يؤيد صدق الإستناد إلى الكتاب والسنة من قبل أمير المؤمنين دعوته إليها قبل دخول الحرب، وأما الذي يكشف زيف ادعاء معاوية في الاحتكام إلى الكتاب أنه دعا إلى ذلك بعد مضي أكثر من مائة يوماً على القتال ، فلو كان صادقاً لانصاع إلى النداء الأول الذي أطلقه الإمام (عليه السلام) قبل خوض لجج الحرب . وفي أثناء وقوع المعركة كان الإمام (عليه السلام) يراعي تعاليم الكتاب الكريم والسنّة الشريفة في طريقة الإجهاز على الخصم حيث يأمر أصحابه بأن لا يذففوا على الفارين عند توليهم الأدبار ، أما معاوية وجنده فكانوا لا يهمهم بأي وسيلة يكون القتال فلا يرقبون إلاً ولا ذمة ولا كتاباً ولا سنة ولذا جاء الاصبغ بن نباتة و صعصعة بن صوحان يسألون ((**يا أمير المؤمنين كيف يكون لنا الفتح وإذا هزمناهم لم نقتلهم ، وإذا هزمونا قتلونا فقال : أمير المؤمنين (عليه السلام) ان معاوية لا يعمل بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولست أنا كمعاوية ولا المهاجرون والأنصار كطاغية أهل الشام وجلوف العرب ولو كان يعرف الله لما حاربني ولو كان عنده علم أو عمل لما حاربني وأنا نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والله بيني وبين معاوية**))[1]

إن أخلاق الإمام (عليه السلام) لا تسمح له بان يتجاوز الكتاب أو سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلقد طبع قلبه عليها فلا يألف أو يعرف غيرها.

ومما تقدم نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) دعا إلى الكتاب والسنّة من خلال مكاتبته لمعاوية والوفود الذين أرسلهم وعمل بالكتاب والسنة في الحرب حتى عندما استحر القتال وعلى العكس من ذلك كان معاوية وأتباعه.

---

١ ـ مناقب الخوارزمي: ص١٧٤.

المطلب الثاني: مبدأ الدفاع عن الدين

يجري الدفاع عن الدين عندما يتصدى لرعاية شؤون الأمة أهل الدين الذين نشأوا في ربوع تعاليمه وعملوا بها ، وتولى الإمام (عليه السلام) لخلافة المسلمين كان من أجل أن ينشر التعاليم الإسلامية و يرسخها في النفوس ، فهو يريد أن يقيم الحق ويدفع الباطل ، ولأجله حارب الإمام (عليه السلام) أعداء الدين على اختلاف أصنافهم ومعاوية أراد أن تكون له الشام ومصر ليس من أجل إقامة العدل والدفاع عن الدين بل من أجل أن يتأمر على هذا وذاك ، وتكون له الإمرة طعمة يفعل بها كيف يشاء وحسب ما تمليه عليه نوازعه وأهوائه ولهذا رفض الإمام (عليه السلام) طلبه حيث كتب معاوية جواباً على الرسالة التي بعث بها الإمام (عليه السلام) جرير بن عبد الله البجلي جاء فيها ((إن جعلت لي الشام ومصر طُعمة أيّام حياتك ، وان حضرتك الوفاةُ لم تجعل لأحد بعدك في عُنُقي بيعةً ، بايعتُك ، فقال (عليه السلام) : لم يكن الله عزّ وجل يراني أتّخذ المُضلّين عَضُداً))[1] هكذا يريد معاوية أن يتحرر من كل قيد ليكون هو السيد المطاع ، فليس لأحد عليه سبيل . إنّ الإمام (عليه السلام) كان مصداقاً واضحاً لعدم مهادنة المضلّين الذين يتبعون غير سبيل المؤمنين. وقد كان يدفع بنفسه نحو الصعاب و ورود المنايا من أجل إحياء الدين ودفع الباطل ((**أما والله إنه لولا أن تعطل الحدود، وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون، وتفوز كلمة الشيطان، ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه**))[2].

الإمام (عليه السلام) يتحمل الصعاب ، ويدخل ميدان الحرب ، ويبقى أياماً وليالي طويلة يسهر ، ويأمر ، ويقاتل ، ويتابع الأحداث ، ويدلي بمواعظه إلى غير ذلك ، مما تنوء من حملة الجبال كلّ ذلك ليشق الحق طريقه في حياة الناس ، وليجد الناس متسعاً فيه من ضيق الباطل ؛ ألا يعني هذا أن الإمام (عليه السلام) ضحى بنفسه وكل ما يملك حتى يكون

---

١ ـ البدء والتاريخ: ج٢: ص٢٢٤.

٢ ـ الفتوح: ج١: ص٤٠٧.

الدين عزيزاً وذلك بالدفاع عنه و الاستماتة في سبيله . وكشف الإمام (عليه السلام) عن وجه من معاناته التي أقضّت مضجعه وأزالت عن عينه الكرى، حيث إن الموضوع الذي أهمه وخامر عقله طويلا يتعلق بأمرين إما القتال، أو الكفر بما أنزل الله عز وجل، وقد أفصح الإمام (عليه السلام) لمجموعة من أصحاب معاوية ـ جاءوا تقليداً للمجموعة التي أرسلها الإمام (عليه السلام) ـ عما أَلَمَّ به وبسط سلطانه عليه من همّ و تفكير في هذا الموضوع الحساس والذي يخص المسلمين جميعاً وله علاقة بحاضرهم ومستقبلهم صّرح الإمام (عليه السلام) لتلك المجموعة التي تعرض على الإمام (عليه السلام) اقتراحاً بمساومة معاوية بتخلية كل من الطرفين للآخر عما بيده بمعنى أن يأخذ معاوية الشام وللإمام (عليه السلام)العراق والحجاز !!! وعرضوا هذا الاقتراح بعد أن مضى على الحرب مدة تزيد على ثلاثين يوماً! وهذه المجموعة ذات الهوى الأموي ضمت عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، وشرحبيل بن السمط ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وآخرين من أعراب الشام ، وقد تحدث بعضهم بهذا الأمر فقال شرحبيل بن السمط : ((**وقد رأينا أن تنصرف عنا يا أبا الحسن أنت ومن معك فنخلي بينكم وبين عراقكم و حجازكم ، وتخلون بيننا وبين شامنا ، ونحقن دماء المسلمين ، فالله يعلم أنني قد أتيت بغاية النصيحة و ما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .**

فقال علي رضي الله عنه : والله لقد نظرت في هذا الأمر فضربت ظهره وبطنه وأنفه وعينه ، حتى لقد منعني النوم ، فما وجدته يسعني إلاّ قتالكم ، أو الكفر بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأيم الله لوددت أنني فديت حقن دماء المسلمين بمهجتي))[1].

لقد أماطت الفئة الباغية اللثام عن وجهها بعد أن تبجحت كثيراً بدم عثمان ! فأين المطالبة بدم عثمان و الأخذ بحقه من هذا الاقتراح الذي ارتضع من الدنيا وامتص كل

١ ـ الفتوح ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٤٠٢؛ الاستيعاب: ج٣: ص١١١٧.

رذائلها. ومن العجب العجاب أن يرون إطلاق يد معاوية على الشام والانفصال عن بدن الأمة الإسلامية هو غاية النصيحة !!! هذا الرهط الضال كان عيّنه صغيرة من الفهم الأموي لإدارة الحياة ، والذي تربى في محافل معاوية .

ومن الطبيعي أن يكون رد فعل الإمام (عليه السلام) صريحاً وسريعاً وقاطعاً في أن واجبه الشرعي ، وأخلاق المسؤولية تدعوه أن لا يتنازل لهم ويدافع عن الدين .

المطلب الثالث: مبدأ الدفاع عن النفس

أصدر الإمام (عليه السلام) أوامره للقادة العسكريين الذين ذهبوا إلى محاور القتال أن لا يدخلوا في قتال مع العدو أو أن يبدأوا القتال، وفسح لهم المجال في حدود ضيقه ، وهي حدود الدفاع عن النفس في وصيته (عليه السلام) لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام ((**اتق الله الذي لابُدَّ لك من لقائِهِ ، ولا منتهى لك دونه ، ولا تُقاتلنَّ إلا من قاتلك**))[1].

وحدث حادث آخر وذلك عندما وصل كل من زيادبن النضر، وشريح بن هاني والذين أرسلهم الإمام (عليه السلام) مقدمة جيشه، وعندما وصلا إلى أرض صفين لقيا أبا الأعور السلمي قائد جيش معاوية. وأخذ هذا القائد الأموي يتعرّض لهم ، وعندئذ أمر الإمام (عليه السلام) مالك الأشتر النخعي أن يذهب إليهم وعلى وجه السرعة وأن لا يدخل في سجال الحرب أو يتعرّض لهم ، وأمره أن لا يبدأ بقتالهم إلا أن يباكروا الحرب فيضطر حينها لدفعهم دفاعاً عن أنفسهم ((**يا مالك ، إنّ زياداً و شريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلميّ في جمع من أهل الشام ، وأنبأني الرسول أنه تركهم**

١ ـ نهج البلاغة: ك ١٢: ص٤٩٢.

متوافقين ، فالنجّاء إلى أصحابك النجاء ، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع))(١)

وبالفعل لم يدخل مالك الأشتر في معركة حين وصوله واتبع ما أمره الإمام (عليه السلام) ، إلا أنه عندما حلّ المساء ، بدأهم أبو الأعور السلمي . بصولة خاطفة فأُجبروا على الدفاع عن أنفسهم ((**فسار الأشتر حتى قدم عليهم واتبع ما أمره وكفّ عن القتال، ولم يزالوا متوافقين حتى [إذا] كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السّلَمي، فثبتوا له و اضطربوا ساعة))**(٢)

إذن فالإمام (عليه السلام) أصدر أوامره لجيشه لصد الاعتداءات التي يبدأ بها الجيش الأموي دفاعاً عن النفس لأن جيش الإمام (عليه السلام) جاء أولاً ليدعوهم إلى الهدى والحق ويسمع منهم ذرائعهم ليأتي على إيضاح ما التبس عليهم فإن أُصروا على القتل وعدم رغبتهم في إتباع الهدى عندئذ لابد من ركوب الحرب.

و هكذا نجد في المراحل الأولى من وصول جيش أمير المؤمنين كان هناك قرارفي عدم دخول الحرب إلا في حالة الدفاع عن النفس .

---

١ ـ تاريخ أبي مخنف : ج١: ص١٥٧؛ والكامل في التاريخ : ج٢: ص٣٦٣.

٢ ـ الكامل في التأريخ: ج٢: ص٣٦٣.

المبحث الثالث : الصفات الأخلاقية عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقعة صفين

نشر الإمام (عليه السلام) وعلى سجيته بعوث كانت كأنها فلق الصباح عندما يشرق بنوره وكانت كما يأتي :

المطلب الأول: تمنيه (عليه السلام)

الإمام (عليه السلام) أكره على تجرع كأس حنظل الحرب، فكان يرى أصحابه يفدُون الذين بأنفسهم، وتمنى أن لو فدى أولئك الذين يصلون في ميدان الحرب بمهجته الشريفة ((**وأيم الله لوددت أنني فديت حقن دماء المسلمين بمهجتي**))[١]

أنها أمنية خرجت من بين نبض قلب علي (عليه السلام) ، من أجل أن يقدم أعزّ ما لديه ويحفظ دماء المسلمين الذين آثروا حرب الطاعة على قعود العصيان ، وكان الإمام (عليه السلام) قد أخذ الحزن من نفسه واستولى على ذرات وجوده فضاق صدره واندفعت منه أمنية أليمة عرضها على ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ان شاهد القتل ينال من المسلمين ((**عن الحسن بن علي قال: لقد رأيت أبي حين اشتدّ القتال يقول : يا حسن وددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة**))[٢].

المطلب الثاني: وده ومحبته

أمير المؤمنين (عليه السلام) بسط أكنافه ودّه للمؤمنين وقد فازوا بذلك وبعرض الآخرة، أما معاوية فليس له من ذلك شيء فاستعاض عما فقده بمنح العطاء والفرض وغير ذلك بعد أن سمحت أنفس أتباعه بسؤاله ذلك .

وعندما بذل معاوية العطايا لأصحابه لشراء ذممهم بلغ ذلك أهل العراق فراغ وزاغ من في قلبه مرض إلى ما آتاهم معاوية من متاع الدنيا، وحينئذ وثب ((**المنذر بن حميصة**

---

١ ـ الفتوح ابن أعثم الكوفي، ج١: ص٤٠٢.

٢ ـ أنساب الأشراف: ص٣٢٤.

الهمداني إلى علي بن أبي طالب فقال : يا أمير المؤمنين إن عكا والأشعريين قد طلبوا من معاوية الفرض والعطاء والخفارات من حوران والبثينه وغير ذلك ، فقد باعوا الدين والدنيا ،﴿ واشتروا الضلالة بالهدى ﴾[١] ونحن قد رضينا بالآخرة من الدنيا ، وبالعراق من الشام ، وبك من معاوية ، والله إننا لنعلم أن آخرتنا لأشرف من دنياهم ، وأن عراقنا لخير من شامهم ، وأن إمامنا لأهدى من إمامهم ، فعليك بالصبر ، واحملنا على الموت ، فها نحن بين يديك و تحت ركابك ، ثم أنشأ بعد ذلك يقول شعراً.

فأدناه عليّ منه، وقبّل بين عينيه، وقال: أبشروا فإني أرجوا أن تكونوا ممن يجاور محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) غداً في جنة النعيم))[٢].

إن أمير المؤمنين بودّه وطيبه وتواضعه يحنو إليه المؤمنين ويقدموا طاعتهم له على الموت الذي اشتاق لعناق المؤمنين الذين اتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم في نصرة ومحبة أهل الرسالة والتقى.

المطلب الثالث: مداراته (عليه السلام)

ما إن وصلت مقدمة جيش الإمام (عليه السلام) إلى أرض المعركة حتى وجدوا أن جيش معاوية قد سبقوا إلى مشرعة الفرات ((**ومنعوا أصحاب علي (عليه السلام) الماء وكان علي (عليه السلام) وأصحابه يشربون من ماء آسن حتى فشا فيهم السقم وكان علي (عليه السلام) يداري أهل الشام ويلاحظهم و لا يبدأ بالقتال ويحتج عليهم مرّة بعد أخرى وهم مصرون على منعهم))**[٣]

١ ـ سورة البقرة: الآية ١٦.

٢ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي، ج١: ص٣٦٤ـ ٣٦٥.

٣ ـ مناقب الخوارزمي: ص١٣٣.

كان من حق الإمام (عليه السلام) أن يرد عليهم، أو لا يداريهم وينتظر حتى يعطش الناس، إلا أن أخلاق الإمام (عليه السلام) دعته في أن لا يقبل الحرب وأرسل إليهم موفداً من طرفه وهو عبد الله بن بديل الخز اعي إلا أن معاوية وجنوده كانوا يصرون على منعهم الماء وكانوا يتصورون أنهم أصابوا الفرصة من علي .وكل ذلك والإمام (عليه السلام) معه عدته من الصبر لم يأذن لأصحابه، ، وبعد أن جاءوا إليه يشكون حاجتهم وعطشهم فعند ذلك أذن لهم وما هي إلا ساعة من نهار حتى أزاحوا أهل الشام من مواضعهم ، وكانت أخلاق الإمام (عليه السلام) على عكس أخلاق معاوية الخاوية وأذن لجيش معاوية بان يأخذوا من الماء حاجتهم[1].

شتان بين أخلاق الإمام علي(عليه السلام) الذي كان يداريهم لعلهم يهتدون ويعفو عنهم عسى أن يثبوا إلى رشدهم ،وبين معاوية الذي يأبى إلا أن يضع نفسه في هذا التطفل السلوكي الذي لا يمت بأدنى صلة لأخلاق الإسلام .

وبعد أن مضى على الحرب مع معاوية أياماً طويلة حيث أكلت حشاشات العرب **((جاء عديّ بن حاتم يلتمس عليّاً، مايطأ إلاّ على إنسانٍ ميت أو قدم أو ساعد ، فوجده تحت رايات بكر بن وائل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا نقوم حتى نموت ؟ فقال عليٌّ:ادْنُهْ.فدنا حتى وضع أُذُنَهُ عند أنفه فقال: ويحك، إنّ عامة مَن معي يعصيني، وإنّ معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه.**[2]))

إن الإمام (عليه السلام) كان يعرف تمام المعرفة أن الذين معه في جيشه لا يستطيعون أن يقوموا لله جميعاً في محاربة أهل الشام، فكان يداريهم ويتلطّف بهم في مجابهة جيش معاوية الذين حافظوا على الطاعة.

١ ـ مناقب الخوارزمي: ص١٣٧ـ١٤٣.

٢ ـ وقعة صفين: ص٢٧٩.

ومن هنا نعرف أنّ الإمام (عليه السلام) كان في بداية خوضه الحرب يداري أهل الشام أما عند أشراف الحرب على نهايتها فكان يداري جيشه لئلا يحصل تمرد أو عصيان من جراء طول أمد الحرب.

المطلب الرابع: أسفه وحزنه

والإمام (عليه السلام) يألم كما يألم الناس فإذا نزلت بالدين مصيبة يحزن لها، أو ارتكب الناس الموبقات والمهلكات أسف لذلك وهو ما ورد في سيرته أثناء الحرب. ومن ذلك ما جاء في أثناء معركة صفين، حيث قام زيد بن علي بن حاتم بقتل أحد الجنود من الذين جاءوا مع الإمام (عليه السلام)، ومع أن كلاهما من جيش واحد؛ قام بقتل الحنظلي ثأراً لخاله الذي كان قد قتله الرجل الحنظلي، وبعدها هرب زيد نحو معاوية ثم فارق معاوية إلى طيء وبقى هناك ولم يأت أباه حتى مات[1]

الإمام (عليه السلام) عندما علم بهذه الحادثة التي وقعت في جيشه ((**إغتم علي بن أبي طالب بقتل الحنظلي، وهرب زيد بن عدي**))[2].

وأيضاً حزن الإمام (عليه السلام) لمقتل عمار، وقد كان عماراً أخاً ورفيقاً للإمام (عليه السلام)، و هو الذي شهد الغزوات مع النبي (صلى الله عليه وآله) ((**و جاء علي بن أبي طالب حتى وقف على عمار، وهو مزمل بدمه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرءاً لم تدخله مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء، ثم قال علي: رحم الله عماراً يوم بعث، ورحم الله عماراً يوم يسأل، فو الله لقد رأيت عمار بن ياسر، وما يذكر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاثة الا كان رابعاً، ولا أربعة إلا كان خامساً إن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن، ولا موطنين، ولا ثلاث، فهنيئاً له الجنة**

١ ـ الفتوح: ابن أعثم: ج١: ص٢٦٩.

٢ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٢٦٨.

فقد قتل مع الحق ، والحق معه ، ولقد كان الحق يدور معه حيثما دار ، فقاتل عمار، وسالب عمار ، وشاتم عمار في النار))[١].

وهكذا نشاهد علائم الحزن على الإمام (عليه السلام) حيث أخذ يسترجع لعظم المصيبة، ويثني عليه لما قدّمه في سبيل الله ، ويترحم عليه لبركته في عمره الذي استفرغه لأداء الطاعة.

المطلب الخامس:يلتمس الشهادة

أمير المؤمنين عرف بشجاعته و اندفاعه في القتال طلباً للشهادة وإعلاءً للحق ودحضاً للباطل فهو القائل ((**والله لا ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه**))[٢] لأنه يلتمس الأجر والنصر وذلك لا يكون إلا بالدخول في دوامة الحرب وعلي (عليه السلام) كان دائم الرغبة في أن يخضب بدنه بدمه ((**أن أفضل الموت القتل والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتةٍ على الفراش**))[٣].

إن هذا الرجاء الذي تعلق أمل علي به وهو الشهادة كان يزج بعلي (عليه السلام) نحو ميدان المعركة. وعلى عكس الإمام كان أكثر جنوده لا يرغب بالقتل ((**والله لو لا رجائي الشهادة عند لقائي العَدُوَّ ـ ولو قَدْ حُمَّ لي لقاؤُهُ ـ لقرَّبْتُ ركابي ثُمَّ شخَصْتُ عنكُمْ فلا أطلبُكُمْ**))[٤]

ورغم أن الإمام كان يطلب الشهادة عند مقابلة العدو إلا أنها جاءته في أحب موطن وهو المسجد وأصدق عبادة جامعة وهي الصلاة وعند أقرب موضع إلى الله وهو السجود ،

---

١ ـ المصدر نفسه:ج١: ص٣٩٢.

٢ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٥: ص٥٠.

٣ ـ مناقب الخوارزمي: ص١١٧.

٤ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١١٩: ص٢٢٨.

فهوى إليه سيف الشرّ ليفلق منه الهام وعندها خرج صوت الشوق إلى ربه الأعلى ((فزت وربّ الكعبة))[1]

المبحث الرابع: مصاديق من عبادة الإمام علي (عليه السلام) في وقعة صفين

لقد سبق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس في العبادة، لأنه كان قد تربى في حجر رسول الله ((**فكان عليّ (عليه السلام) في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وآله منذ كان عمره ست سنين. وكان ما يُسدي إليه صلوات الله عليه من إحسانه وشفقته وبرّه وحسن تربيته ، كالمكافأة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به ، حيث مات عبد المطلب وجعله في حجره . وهذا يطابق قوله (عليه السلام): لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين، وقوله: كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً؛ و رسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أُذن له في الإنذار والتبليغ**))[2].

هذا هو الأساس والبناء الذي شيد في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولقد كانت أركانه متينة حمل عليها الإسلام ، وعليه سوف نقوم بتناول مصاديق من عبادة أمير المؤمنين في معركة صفين وما سبقها أو لحقها من أحداث وفيما يلي تلك المصاديق العبادية :

المطلب الأول:صلاته (عليه السلام)

أقامة الصلاة عند أمير المؤمنين لها معنى عميق في نفسه فهو الذي عشق العبادة وعانق روح اليقين لشدة علاقته ومحبته لها ((**وبلغ في العبادة إلى أنّه إذا توجّه إلى الله ــ تعالى ــ [في صلاته] توجّه بكليّته وينقطع نظره عن الدّنيا، [حتى أنّه] لا يدرك الألم ؛ لأنّ النّشاب إذا أريد إخراجه من جسده الشريف يترك حتى يصلّي،**

١ ـ انساب الأشراف: ص٤٨٨.

٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١: ص١٥.

فإذا اشتغل بالصلاة وأقبل على الله ـــ تعالى ـــ أخرجوا الحديدة من جسده . وكان مولانا زين العابدين ـــ صلوات الله عليه وسلامه ـــ يصلّي في اليوم والليلة ألـف ركعة ويدعوا بصحيفة أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمّ يرمي بها، كالمتضجّر، ويقول أنّى لي بعبادة عليّ))[1]

نعم لقد حاز علي(عليه السلام)على كمال الانقطاع ووصل إلى معدن العظمة، وذُهل عن كل شيء غير معبوده الذي يناجيه من قباب عرشه العظيم، وتعطلت حواسه عن الدنيا وفي تدبير جسده حتى صار لا يشعر بالحديد أو النبل الذي خرق جسده عندما يخرجوه منه.

نعم لقد ترسخت أشجار الشوق إلى ربه في حدائق صدره حتى مع ضجيج الحرب، **((ولم يترك صلاة الليل قطّ حتى ليلة الهرير، وكان يوماً في حرب صفين مشتغلاً بالحر ب والقتال، وكان مع ذلك بين الصّفين يراقب الشمس. فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل ؟ فقال: أنظر إلى الزّوال حتى نصلّي. فقال له ابن عباس: هل هذا وقت صلاة ؟ إنّ عندنا لشغلاً بالقتال [عن الصلاة].**

فقال عليّ ـــ (عليه السلام) ـــ: فعلى ما نقاتلهم ؟ إنّما تقاتلهم على الصلاة))[2]

أمير المؤمنين (عليه السلام) يداوم على صلاة الليل. ويراقب الشمس كي يصلي الصلاة لوقتها مع أن الحرب قائمة على قدم وساق.

إن هذه الصلاة هي التي تعطي للحرب قدسيتها، وهي التي تضع حدّاً فاصلاً بين أمير المؤمنين وجيشه ، ومعاوية وجيشه ، فهي الهوية للمسلم ومنها يستمد قوته ، وبها

---

١ ـ كشف اليقين في عبادة أمير المؤمنين : الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بـ " العلامة الحلي "، تحقيق حسين درگاهي، ص١٧.

٢ ـ المصدر السابق نفسه: ص١٢٢.

يشخص المعروف من المنكر ، وبها تخشع القلوب إلى الله ،ولهذا نجد الإمام (عليه السلام) ((**يبلغ من محافظته على ورْده، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاب لذلك ، ولا يقوم حتى يفرُغ من وظيفته ! و ما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده**))[١]، ويظهر مما سبق أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أقام الصلاة على أحسن وجه من مراقبة أوقاتها، وطمأنينة في أدائها، ومعرفة لحقيقتها، ولهذا كانت رَوحه و روُحه ينشدان وقتها.

المطلب الثاني: ذكره وتسبيحه

لم يفارق أمير المؤمنين ذكر الله في **السر** والملأ وفي السراء والضراء، لأنه هائم من الوّله الذي اعتاده، فهو القائل ((**الذّكرُ لذة المحبين**))[٢].

وكان الإمام (عليه السلام) في كل موضع له ذكر ففي ظرف الاستعداد للحرب له ذكر وتسبيح، وأثناء وقوع المعركة كان له شاغل من ذكر و تسبيح، وبعد الحرب له انسه الخاص من أوراده التي تسكن إليها نفسه.

ففي أثناء مسيره ((**كان عليّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول : الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم ، ﴿ سبحان الذي سخر ّلنا هذا وكنّا له مقرنين . وإنّا إلى ربنا منقلبون ﴾، ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثم يقول : اللهم إليك نُقلت الأقدامُ ،وأُتعبت الأبدانُ، وأفضت القلوب ،و رُفعت الأيدي ،وشخصت الأبصار ، ربنا افتح بيننا وبين قومِنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.**

سيروا على بركة الله.ثم يقول: الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر. يا الله يا أحَدُ يا صمدُ، يا ربَّ محمد. بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ

١ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١: ص٢٧.

٢ ـ غرر الحكم: ج١، ح٧٢١: ص٢٥.

العظيم. ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين * الرّحمن الرّحيم * مالك يومك الدين * إياك نعبُدُ وإيّاك نستعين﴾، اللّهمّ كُفّ عنا بأس الظالمين. فكان هذا شعارَه بصفين))[١]

وعلي(عليه السلام) ذلك الرجل الإلهي الذي كانت روحه معلقة في أعلى عليين فهو رجل صحب أهل السماء بذكره الدائم ، وعاش بين الناس ببدنه الآدمي ليدير الأمور التي يواجهها وليأخذ حظه منها بتسبيحه و تنزيهه لله ، وعندما تأتي صلاته يعقبها بتسبيحه ، فلكل صلاة فرض أو نفل تسبيح يتأخرها ويزيد من علوها الذي ينعكس أثره عليه ((ثم سار وسار الناس معه حتى إذا عبر جسر الكوفة نزل فصلى ركعتين في مسجد أبي سبره ، فلما أنفتل قال: سبحان من يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ثم أمر مناديه فنادى في الناس : ألا من كان مشيعاً لنا أو مقيماً فليتم الصلاة فإنا على سفر، ومن كان سائراً معنا إلى عدونا فلا يصومن إلا الفرض ، والصلاة ركعتين ــ فسار حتى إذا صار إلى حمام عمر ، نزل فصلى هناك العصر ، فلما أنفتل من صلاته قال : سبحان الله ذي القدرة والقدم ــ سبحان ذي الطول والنعم ثم نزل هناك بعسكره حتى إذا حانت المغرب قام فصلاها ، فلما أنفتل من صلاته قال : سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العز والجبروت فلما صلى العشاء الآخرة أنفتل من صلاته ثم قال : الحمد لله كلما أظلم الليل وغسق . والحمد لله كلما لاح نجم وخفق . قال : وبات تلك الليلة هنالك ، فلما أصبح سار وسار الناس معه ، فإذا هو بنخل من وراء النهر فجعل يقول : والنخل باسقات لها طلع نضيد[٢]...)[٣]

---

١ ـ وقعة صفين:ص٢٣٠.

٢ ـ ق: ١٠.

٣ ـ الفتوح ابن أعثم الكوفي، ج١: ص٢٠٨ـ٢٠٩.

وهكذا يستمر الإمام (عليه السلام) في ذكره بعد كل صلاة ، وليس هذا فحسب ؛ وإنما هو يشاهد الله في الأشياء وينطبع في ذهنه صورة المشهد الذي يبصره كما هو في النهر والنخل الذي شاهده ، فكان أن شاهد الإمام (عليه السلام) الآية الكريمة في الصورة البارزة أمامه .

وفي أثناء المعركة ، وعندما اشتدَّ القتال كان الإمام (عليه السلام) على حاله من الذكر في ميدان الله تعالى ، وساحة قدسه أينما حلَّ أو نزل ((**حدثنا القعقاع بن الأبرد الطُّهوَيّ قال : والله إنّي لواقفُ قريباً من عليٍّ بصفين يوم وقعة الخميس [و]قد التقت مذْحج ــ وكانوا ميمنة عليّ ــ وعكٌّ وجذامٌ ولخمٌ والأشعرون ، كانوا مستبصرين في قتال عليّ. ولقد والله رأيتُ ذلك اليوم من قتالهم وسمعتُ من وقع السُّيوف على الرؤوس ، وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ، ما الجبال هَدٌّ ولا الصواعق تصعق بأعظم هولاً في الصدور من ذلك الصوت . نظرت إلى عليٍّ وهو قائمٌ فدنوتُ منه ، فسمعته يقول : لا حول ولا قُوّة إلاّ بالله ، والمستعان الله**))(١)

و عندما استحرّ القتال في صفين ودفع معاوية ببعض رجاله نظير الأحمر لمقاتلة الإمام (عليه السلام) ومبارزته ، حيث أخذ يكرر دعوته للإمام (عليه السلام) لذلك ، فنهض إليه وحسم النزال سريعاً وألقاه صريعاً عندها ((**تولول الناس وشتموا معاوية وأهل الشام فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) أما فيهم خيّر وما كلهم يرضى بفعل معاوية، فعودوا ألسنتكم ذكر الله واستكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**))(٢).

---

١ ـ وقعة صفين : ص٣٦٣.

٢ ـ المناقب: الخوارزمي: ص١٥٣.

ومن هذه الحادثة يفهم أن الإمام (عليه السلام) لديه نظرة استيعابية فليس كل أهل الشام يرضون بفعل معاوية ، ويدعوا أصحابه إلى أن يخوضوا في ساحات القرب من الله والاعتياد على ذكره جلّ وعلا.

وقد ورد أن الإمام (عليه السلام) تعلّم هو وزوجه فاطمة (عليها السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله) تسبيحاً فأخذ به أخذاً قوياً ولم يتركه في وقائع صفين الحمراء كلّ ذلك لأنسه بالذكر **((عن علي، قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى وضع رجليه بيني وبين فاطمة فعلّمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا:ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميده، وأربعاً وثلاثين تكبيره، قال علي فما تركتها بعد. فقال له رجل: ولا ليلة صفين ؟ قال: ولا ليلة صفين.))**[1]

وبعد عودته من صفين وتنقله مشياً في أحياء الكوفة ، فقد كان على ما عرف عنه، حيث مضى إلى أن نزل القصر ذاكراً لله تعالى .[2]

وهكذا نلاحظ الإمام (عليه السلام) له أذكاره وأوراده في كل موضع ارتاده ، وفي كل حال نزل به.

المطلب الثالث: بكائه وحمده

رهافة الحس، وجريان محبة الله في كل وجود الإنسان ، وتقديره للأفضال الإلهية ، تجعل منه على بصيرة في أن كلّ ما يلتقيه ويتلقاه هو جزء من تلك النعم التي لا تحصى ، وهذه الخصائص النفسية كانت متجسدة في أمير المؤمنين (عليه السلام)، فالمؤرخون يذكرون أن الإمام (عليه السلام) عند مسيره إلى صفين ، و وصل إلى منطقة قريبة من البليخ على طريق الرقة ،

---

١ ـ حُلية الأولياء وطبقاتُ الأوصياء: أبي نعيم احمد بن عبدالله الإصفهاني ، تحقيق سعيد بن سعد الدين خليل الاسكندراني : ج١: ص٧٢.

٢ ـ الكامل في التأريخ: ج٢: ص٣٩٢.

ونزل راهب من صومعته فأدى التحية للإمام (عليه السلام)، وكان عنده كتاباً ورثه عن آبائه و عرضه على الإمام (عليه السلام) فقرأه وأبدى نظره فيه، وتصفح هذا الراهب في سيماء الإمام (عليه السلام) سيماء الأولياء فقرر أن يتبعه ((**فقال : يا أمير المؤمنين إني صاحبك لا أفارقك أبداً، حتى يصيبني كما أصابك، قال : فبكى علي رضي الله عنه، ثم قال : الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار، قال : ثم سار وذهب هذا الراهب معه**))[١]، ((**الحمد لله الذي لم أكُنْ عنده مسنياً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كُتبُ الأبرار**))[٢]

ما أجمل حمد أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يمزجه بدموعه، وما أروع التقوى التي تتملك مشاعر الإمام (عليه السلام) فتلتقي ببصيرته فيقدّم حمده على تلك النعمة في وجود ذكره في كتب الابرار إنها نعمة أن يذكر الإمام في كتب الأولين وقرآن الآخرين، والإمام يبكي تواضعاً منه لربّه الشكور.وقد ذكرنا في المطلب السابق ـ من خلال النصوص التأريخيه[٣] ـ أن الإمام (عليه السلام) في أثناء مسيره وتنقله كان يرافق ذكره وتسبيحه عبارات حمده وثنائه لما يراه من سابغ النعم.

المطلب الرابع: دعائه (عليه السلام)

لجأ أمير المؤمنين (عليه السلام)كثيراً إلى الدعاء في المعارك التي فرضت عليه، فهو السلاح الأول الذي أعلنه غير مرة ((**الدعاء سلاح الأولياء**))[٤]، فالدعاء يعكس الارتباط الروحي بين الإمام (عليه السلام) والباري تعالى، وهو الوسيلة التي يأوي إليها في تلك المحن العسكرية ففي حثه للناس على حرب أهل الشام ـ بعد أن رأى من بعضهم تثاقل عن

---

١ ـ الفتوح: بن أعثم الكوفي: ج١: ص٢١٦.

٢ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد: ج٣ : ص٢٠٥ـ٢٠٦.

٣ ـ وقعة صفين: ص٢٣٠؛ والفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٢٠٩.

٤ ـ غرر الحكم: ج١: ح٨٢٨ : ص٢٨.

طلبه ـ يبسط كف الدعاء إلى المجيب ((**اللهم أيّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ، والمصلحة غير المفسدة ، في الدين والدنيا ، فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك ،و الإبطاءَ عن اعزاز دينك ، فإنا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادةً ونستشهْدُ عليه جميع ما أَسكنتَه أرضك وسماواتك ،ثمّ أنت بَعْدُ المُغني عن نَصرهِ ، والآخذُ له بذنبهِ**))[١]

الإمام (عليه السلام) يوكل الأمر في القاعدين عن نصرة الحق إلى الله تعالى ويشهده عليه مع جميع خلقه.وكان إذا التقي العدو محارباً ألبس دعاءه ثوب النية الخالصة ((**اللهم إليك أفضت القلوب ، ومُدّتِ الأعناق ، وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام ، وأُضنيت الأبدان ، الّلهمَّ قد صرّح مكنونُ الشنآن ، وجاشَت مَراجلُ الأضغانِ . الّلهمَّ إنّا نشكو إليك غيبةَ نبينا ، وكثرة عدوِّنا ، وتَشتُّتَ أهوائنا : ((ربّنا افتح بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ و وأنت خيرُ الفاتحين))**[٢]))[٣]

وأيضا الإمام (عليه السلام) يدعوا لجيشه، لأن الحرب تحتاج إلى جلادة وصبر. و تحتوي الأدعية العلوية على معاني تربوية لقنها جيشه من قبيل الصبر الذي هو عدة المقاتلين، والنصر الذي هو هدفهم، والأجر والذي هو جزاء النفر للقتال ((**الّلهمّ ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر**)).[٤]

وكرر الإمام (عليه السلام) دعاءه على أعدائه، لأنهم أبدوا صفحتهم للحق، وأعلنوا اجتماعهم على مفارقة الدين، فعندما دنا القوم من جيش الإمام (عليه السلام) في صفين، ورأى أنهم عزموا على موافقة الباطل دعا عليهم ((**اللهم أفلل حدهم وشتت كرامتهم،**

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٢١٢: ص٤٣٦.

٢ ـ الأعراف: ٨٩

٣ ـ نهج البلاغة: ك١٥: ص٤٩٤.

٤ ـ المعيار والموازنه : ص١٥٨؛ والكامل في التأريخ : ج٢: ص٢٧٠.

فانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)) [١]**، ((اللّهمّ فاردد الحق، وافضض جمعهم، وشتت كلمتهم وأبلسهم بخطاياهم فانه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت))** [٢].

إذن لو لا العلاقة الوثيقة بالله تعالى والتي عرض الإمام (عليه السلام) جانباً منها من خلال أدعيته، لما أناب إليه في هذه المضامين الرفيعة، وهي تعبر عن الأخلاق التي تلازم أمير المؤمنين (عليه السلام) وتأخذ نصيبها من تلك الرابطة الروحية و العبادية والتي يمثل جزئها الدعاء.

المبحث الخامس: أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) في إدارة العمليات

إدارة معركة صفين تم وفق أخلاق رسمها الإمام (عليه السلام) على رؤوس الأشهاد وكانت كما يلي:

المطلب الأول: الارتباط الأخوي

هذه العلاقة تم تسييجها ونسجها من عناصر مثل المودة، والرحمة، والأنس، كما أن التقوى لها دور في تجذيرها وإدامتها، فطالما يمتلك الأفراد التقوى تبقى العلاقة متأصلة، وأمير المؤمنين (عليه السلام) كانت تربطه بجنوده علاقة أخوية بحيث أن جنوده يبحثون عن الإمام (عليه السلام) في وسط المعركة خشية أن يصيبه شيء فقد فرض مالك الأشتر لمن بشره برجوعه من أتون الحرب مبلغاً من المال ((**وكان الأشتر يرشد بطلب أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك اليوم يشق المواكب والكتائب راية راية وقال لغلامه هاشم أنظر هل رجع إلى موقفه وأنا أطلبه في العسكر فإن بشرتني برجوعه فلك كذا وكذا وكان علي (عليه السلام) حينئذٍ مع سعيد بن قيس الهمداني مع فوارس قومه الخواص ،**

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٣٧٢.

٢ ـ المعيار والموازنة : ص١٥٣.

فوجده الأشتر عندهم فرآه الإمام (عليه السلام) متغيراً عن حاله باكياً فقال له ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك إبراهيم أم أصابك غير ذلك فجعل الأشتر ينشد و يقول:

كل شيء سوى الإمام صغير وهلاك الإمام أمر كبير

قد رضينا وقد أصيب لنا اليوم رجال هم الحماة الصقور))[1]

بلغ الحال بمالك أن يستحوذ عليه الحزن، ويقلق، ويبكي توجساً على أمير المؤمنين من أن يكون قد أصابه شيء ! وبعد حين جاء الإمام (عليه السلام) حيث كان بحفظ الله تعالى، وبرفقة سعيد بن قيس ومعه فوارس همدان يحيطونه ويقونه بأنفسهم ، فالإمام (عليه السلام) كان مع أخ آخر له ، ومع آخرين من إخوانه يقاتلون سوياً لا فرق بينه وبينهم سوى أنه إمامهم وسيدهم ، فهم في الارتباط أخوة متحابون وفي الميدان جميعاً مقاتلون فالإمام كان كأحدهم من شدة تواضعه ، ولعلاقته الحميمة والصادقة معهم .

المطلب الثاني : التوجيه المعنوي

اختلفت صور التوجيه المعنوي التي يحرض بها الإمام (عليه السلام) أصحابه فمرّة يؤكد على العدّة الروحية ((**أما بعد فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه. وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنّته الوثيقة ...**))[2]

وأخرى يؤكد على العدة الروحية والقتالية ((**استشعروا الخشية ، و تجلببوا السكينة ، وعضّوا على النّواجذ، فإنّه أنبى للسّيوف عن الهام وأكملوا اللّأمة، وقلقلوا السّيوف في أغمادها ، قبل سلّها والحظوا الخزر ، واطعنوا الشّزر، ونافحوا**

---

١ ـ مناقب الخوارزمي: ص١٧٠.

٢ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٢٧: ص٧٤.

بالظُبا ، وصلوا السيوف بالخُطا واعلموا أنكم بعين الله ، ومع ابــن عــم رســول الله))[١]

وثالثة يكون التوجيه المعنوي مسلّطاً على السلوك في أثناء القتال ((**أيهــا النــاس غضوا الأبصار ، وأخفوا الأصوات ، وأقلوا من الكلام ، ووطنوا أنفســكم علــى المنازلة والمجاولة ، والمواقفة ،والمسابقة والمكابدة ، واثبتوا ﴿ وَاتَّقُواْ اللّــهَ لَعَلَّكُــمْ تُفْلِحُونَ ﴾**[٢]))[٣]، ((**تقدموا على بركة الله ، وعليكم بالسكينة والوقار وسيماء الخير ، وزينة الإسلام**))[٤].

إن تنويع التوجيه المعنوي يساعد علـى شـحذ همـم المقـاتلين ، ويبعـث فـيهم روح الشجاعة والإقدام ، ففي احدى المواقفات مع جيش معاوية لاحظ الإمـام (عليه السلام) جنـوده يزولون عن موقفهم نتيجة للـهجمات العنيفـة والمتواصـلة ، فلجـأ الأمـام (عليه السلام) إلى التوجيه المعنوي عبر الدعوة لهم والتذكير بالأجر الذي ادخره الله تعـالى للمجاهـدين في سبيله ((**أين أهل الصبر و طلّاب الخير ؟ أين من يشري وجهه لله عــزّ وجــلّ ؟ فثابت إليه عصابة من المسلمين**))[٥]، ((**وزالت الشمس وذهب وقت الصلاة ، و الحرب قائمة على ساق ، قال : وصاح علي رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصــار ، فقال : إن الفرار من الحرب في مثل هذا اليوم ارتداد عن الحق ، ورغبة عن ديــن الإسلام ، أما سمعتم الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ**

---

١ ـ المصدر نفسه: خ ٦٦: ص٧٤.

٢ ـ البقرة: ١٨٩.

٣ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٢٧٩؛ والكامل في التاريخ :ج٢ : ص٣٧٠.

٤ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٢٧٢.

٥ ـ وقعة صفين: ص٣٩٢.؛ تاريخ أبي مخنف : ج١: ص١٩٩.

مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [١] فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة ؟ قال : فكان أول من تقدم أبو الهيثم بن التيهان))[٢]

وفي المعركة كان الإمام (عليه السلام) يمد أصحابه بالحياة المعنوية و يزيدهم من زاد الآخرة، لطلب الشهادة في سبيل الله تعالى ((وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فلما كان من الغد ،وثب علي رضي الله عنه ، فخطب الناس ، وقال أيها الناس ، إن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه، قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وجعل ثوابه لكم المغفرة ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، و رضوان من الله أكبر ، وقد أخبركم بالذي يجب عليكم في ذلك فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٣])) [٤].

ويدعوهم إلى القيام لله و يوجههم إلى القنوات التي عليهم مباشرتها لنيل الدرجات المعنوية باستفراغ أوقاتهم فيما خلقوا له من قيام الليل وتلاوة القرآن والذكر، والدعاء، واليقظة والصبر والصدق في القتال ((ألا وإنكم تقاتلون عدوكم غداً ، فاطلبوا الليلة القيام ، وأكثروا فيها من تلاوة القرآن و أذكروا الله واسألوه النصر ، وعليكم بالحذر والحزم والصبر وكونوا صادقين))[٥]

التوجيه المعنوي كان له تأثير كبير في حث الناس للمنازلة والصبر على خطوبها التي جرت عليهم فكابدوها بما زودوا من حب الآخرة.

---

١ ـ محمد: ٣١.

٢ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٤١٠.

٣ ـ الصف: ١٠.

٤ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٢٧٠.

٥ ـ المصدر نفسه: ج١: ص٤٠٤؛ الكامل في التأريخ: ج٢: ص٣٧٢.

المطلب الثالث: معرفته لجنوده

كان لدى أمير المؤمنين (عليه السلام) معلومات كاملة عن الأفراد الذين يولّيهم أمرة الجند أو القوات ، و قد كان يوصي إليهم ما هم بحاجه إليه من إرشادات ففي تأمير زياد بن النضر ، وشريح بن هانئ أوصاهما بما هو عليهما من الالتزام زياد فوصى به بملازمة التقوى في كل آن لأن القائد عليه أن يكون على مخافة من الله ، لئلا تجمح به نفسه و اهوائه إلى الظلم والعدوان ((**يا زياد اتق الله في كلّ ممسى ومصبح ، وخف على نفسك الدنيا الغرور ، و لا تأمنها على حالٍ من البلاء ، واعلم انك إن لم تزع نفسك عن كثير مما يحبّ مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ ، فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي والظلم والعدوان ؛ فإنيّ قد وليتك هذا الجند ،فلا تستطيلنّ عليهم ، وإنّ خيركم عند الله اتقاكم .و تعلّم عن عالمهم وعلّم جاهلهم، واحلم عن سفيههم**))[١]

الوصايا أعلاه تضمنت الأمر بالتقوى، والحذر من الدنيا والنفس، وتعليمات أخلاقية أخرى على القائد أن يكون متسماً بها كعدم الاستطالة ، والتعليم والتعلّم ، والحلم وكف الأذى .

هذه الوصايا يراها الإمام (عليه السلام) ضرورية لهذا القائد الذي كان مقدمة لجيش الإمام (عليه السلام)، وفيما بعد أعطى الإمام (عليه السلام) مسؤولية قيادة جيشه إلى مالك الأشتر إلى أن وصل ميدان صفين . وعندما أمر الإمام (عليه السلام) على زياد وشريح مالك الأشتر ، وضح لهذين القائدين صفات مالك وما يحمله من مؤهلات تجعله يتولى هذه المسؤولية((**وقد أمرّت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن حارث الأشتر ،فاسمعا له وأطيعا ،**

---

١ ـ وقعة صفين : ص١٢١ـ ١٢٢.

واجعلاه درعاً ومجنّاً ، فإنّه لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ، ولا إسراعُهُ إلى ما البطء عنه أمثل))[١]

وفي أثناء معركة صفين أعطى الإمام (عليه السلام) رايته لحضين بن المنذر، لأنه يعرف الحضين ولديه شجاعة في منازلة ومصابرة العدو ((يقول : **أعطاني عليٌّ الراية ثم قال : سر على اسم الله يا حضين ، واعلم أنه لا يخفق على رأسك رايةٌ أبداً مثلها . إنها راية رسول الله (صلى الله عليه وآله)))**[٢]

فتعيين القادة و اعطائهم الإمارة على الجند يتم وفق معرفة لهؤلاء الأمراء وما يحملونه من خصوصيات أخلاقية وميدانية تؤهلهم لذلك .

المطلب الرابع : المتابعة الميدانية

أرسل أمير المؤمنين مقدمته ، وقد أوصى قائديها زياد بن النضر وشريح بن هاني أن يؤمّنا الاتصال معه ليتسنى له متابعة التطورات الميدانية أولاً بأول ((**وليكون عندي كلّ يوم خبركما ورسولٌ من قبلكما))**[٣].وبالفعل قام القيّمين على المقدمة بإرسال تقاريرهم الميدانية إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقام بإجراء اللازم ((**يا مالك ، انّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلميّ في جمع من أهل الشام ، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين ،فالنجاء إلى أصحابك النجاء ، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم))**[٤]

---

١ ـ نهج البلاغة : ك١٣: ص٤٩٢.

٢ ـ وقعة صفين : ص٣٠٠.

٣ ـ المصدر نفسه : ص١٢٥؛ والمعيار والموازنة : ص١٤٢.

٤ ـ تاريخ أبي مخنف : ج١: ص١٥٧؛ الفتوح : ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٢٢٨؛ والكامل في التاريخ : ج٢: ص٣٦٣.

ويتابع الإمام (عليه السلام) التطورات الميدانية، ويرى ميمنته قد انتقضت ، وانحازت ؛ إلا أنها عادت إلى الميدان الكرة فوضعت السيف في أهل الشام قتلاً ، مما دعا الإمام (عليه السلام) إلى أن يقدم لهم توجيهاً وتنبيهاً حتى لا يكونوا عرضة للمعصية ((**عن زيد بن وهب أن علياً لما راى مميمنته قد عادت إلى مواقعها و مصافها وكشفت من بازائها من عدوّها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم ، أقبل حتى أنتهى إليهم فقال :إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم يحوزكم الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم العرب ، والسّنام الأعظم ، وعمّار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم ، وكرّكم بعد انحيازكم ،ووجب عليكم ما وجب على الموليّ يوم الزّحف دبره**))[١]

ولكن قد يستدرك بالسؤال التالي وهو أن هذه المتابعة الميدانية هي صفة عسكرية فما علاقاتها بالأخلاق ؟

إن المتابعة الميدانية هي من طبيعة الأخلاق العسكرية حيث أنّها تعبّر عن مدى اهتمام الإمام (عليه السلام) بالأوضاع التي تقع في ساحة الحرب وضمن إطار مسؤوليته ومن خلال هذه المتابعة يتم تحديد المسؤوليات واتخاذ الخطوات اللازمة من قبل أمير المؤمنين الذي حوى التجربة العسكرية كاملة، فلا ريب في انفاقه لتفصيلات ما استفاده منها للآخرين عبر إصداره التعليمات التي تفيدهم ريثما يقدم عليهم .ومن هنا فالإمام (عليه السلام) بالإضافة إلى علمه الذي تلقاه من النبي (صلى الله عليه وآله) فهو صاحب امتياز في التجربة المطعمة بذلك العلم الإلهي ، وعندما يعطي الامام توصياته فإنه يعطي كل ما لديه من

---

١ ـ المصدر نفسه:ج١: ص١٨٢؛ ونهج البلاغة: خ١٠٧:ص١٩٨؛والمعيار والموازنة: ص١٤٩؛ والكامل في التأريخ : ج٢: ص٢٧٧.

جوانب بإمكان أمرائه أن يستفيدوا منها وكالجوانب الأخلاقية ولذلك تجد في ضمن توجيهاته التعليمات الأخلاقية الكثيرة [١]

المطلب الخامس: التأشير و الاستهداف

مقصودنا من التأشير هو تحديد العدو ومواقعه ، أما الاستهداف فهو الطريقة التي من خلالها يتسنى القضاء على العدو الذي تم تحديده.هذا التأشير والاستهداف قد استخدم سابقاً في معركة الجمل ((**لما رأى علي أن القتال حول الجمل قد اشتد قال اعقروا الجمل**))[٢] .

و أيضاً في معركة صفين قد عمد الامام في إدارته للعمليات لهذه الطريقة فالإمام له من يرصد له تحركات معاوية وينقلها ليتم معرفة خطوات العدو ((**وقد كان مع معاوية رجل يقال له حصين بن مالك وكان يكاتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويد له على عورات معاوية**)) [٣]

وقبل بدء المعركة خرج ((**إليه معاوية في أهل الشام، فأخذ عليّ يقول : من هذه القبيلة ؟ومن هذه القبيلة ؟يعني قبائل أهل الشام ــ فيسمّون له. حتى إذا عرفهم وعرف مركزهم قال للأزد:اكفوني الأزد ــ وقال لخثعم: اكفوني خثعما: و أمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام**))[٤]

أمير المؤمنين عرف عدوّه وموقعه، وخطط لاستهداف تلك المراكز؛ فأمر كل قبيلة إلى مثلها من أهل الشام.

---

١ ـ تاريخ أبي مخنف :ج١: ص١٥٧؛ والفتوح : ابن أعثم الكوفي:ج١: ص٢٢٨.

٢ ـ انساب الأشراف : ص٢٤٨.

٣ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٣٠٤.

٤ ـ وقعة صفين : ص٢٢٩.

وأيضاً في وقعة أخرى وضّح الأمام (عليه السلام) لقائده الأشتر بأن عدوهم فيه نقطة ضعف وعليهم أن يستفيدوا منها في الانقضاض عليهم ؛ وهي أن أحداً من أعدائهم لا يبرز إليهم ، فليحمل كل منهما على جناح ، وحد د الإمام (عليه السلام) لنفسه جناح الميمنة وللأشتر من العدو الميسرة ((**وروي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال للأشتر أن أحداً لا يبرز إليك ولا إلي فأنا أحمل على الميمنة وأنت تحمل على الميسرة وكان في ميمنة معاوية نحو من عشرة الآف فارس فحمل علي (عليه السلام) فانهزم ...وحمل الأشتر على الميسرة كذئب في غنم فنكص الناس عنه**))[1]

إن هذه الطريقة في إدارة العمليات أنهكت الأعداء، وحققت إنجازات ميدانية سريعة على العدو الذي حارب الإسلام ، والمتكون من طغاة الأمة والمؤلفة قلوبهم ، والذين يتربصون الفرصة بأي وسيلة في النيل من جيش الإسلام.

المطلب السادس:تدبيره (عليه السلام)

شهدت معركة صفين تدبير الإمام (عليه السلام) الذي ينم عن حكمته ودرايته ((**وكان رضي الله عنه في تلك الأحوال يباشر الحرب بنفسه ، ويقوّمها برأيه ،و يجبر صدعها ببأسه، ويقوي ضعيفها بكلامه ،ويشجّع جبانها بالبشارة و الحجّة ، ويدور على الرايات ، فيقوّم أودها ، ويقاتل مع المتأخرّ عنها حتى تلحق مكانها.[وكان يتحمل تلك الشدائد لله]ليعلموا أن منافسته في طلب ثواب الله في هذه الحال كمنافسته أيّام النبي (صلى الله عليه وآله)، ومعاوية على سريره بعيد عن عسكره ، حوله الحرس والشرط ، متشبهاً بالجبابرة**))[2]

---

١ ـمناقب الخوارزمي: ص١٥٥.

٢ ـ المعيار والموازنه: ص١٥٣.

أمير المؤمنين يدخل المعركة تارة ، وينصب رأيه أخرى ، ويسد الضعف الذي تخلل إلى صفوفها ، ويتنقل بين الرايات والقوات ، ويقوم بمسؤوليات كثيرة وكل هذا وذاك طلباً لما عند الله ومواصلة للمشوار الذي بدأه في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتشبهاً به في تدبيره في غزواته المقدّسة.

وفي أحدى الوقائع التي دارت في صفين قام أمير المؤمنين بتدبير خطة في سبيل إنجاء أصحابه الذين اقتطعوا من جيشه ووقعوا في طوق الحصار العسكري الذي فرضه عليهم أهل الشام ، وبالفعل نجحت الخطة في فك الحصار عنهم ،وهذا الأمر يدل على قدرته في إدارة دفة الصراع لصالح قواته ((**فحمل أهل الشام على أهل العراق ، فاقتطعوا من أصحاب علي ألف رجل أو أكثر ، وأحاطوا بهم ، و حالوا بينهم وبين أصحابهم ، فلم يروهم . ونظر علي إلى ذلك ، فنادى بأعلى صوته : ألا رجل يشري نفسه لله،ويبيع دنياه بآخرته ؟قال : فأقبل إليه رجل من بني جعف يقال له عبد العزيز بن حارث على فرسه ، فقال يا أمير المؤمنين مرني بأمرك ، فداك أبي وأمي ، فوالله لا تأمرني بشيء إلا فعلته ، فجعل علي يقول :**

شريت أمراً لا يطاق حفيظة ... حياء وأخوان الحفاظ قليل

جزاك إله الناس خيراً فقد وفت ... يداك بفضل من هناك جزيل

ثم قال علي : احمل أبا حارث ، شد الله ركنك على أهل الشام ، حتى تأتيَ على أصحابك ، فتقرئهم عني السلام ، وقل لهم يكبروا ويهللوا ، فنحن قد وافيناكم إن شاء الله ، قال : فحمل الفتى على أهل الشام ، وزعق حتى انفرجوا له ثم صار إلى أصحابه ، فأبلغهم الرسالة ، قال : فكبر القوم وهللوا ، وكبر علي وأصحابه

وهللوا ،وحمل أولئك فوقعت الهزيمة على أهل الشام ، فقتل منهم في تلك الوقعة نيف عن سبعمائة رجل ، ولم يقتل من أصحاب علي ولا رجل واحد))[1]

أليس عظيماً ذلك القائد الذي ينقذ أصحابه من الموت ، أو الأسر من دون أن يعطي أية خسارة ، ويوقع الخسارة بالعدو ؟! أليس عظيماً ذلك الرجل الذي قام بهذا التكتيك العسكري وجعل كل فرقة من جيشه تناشد الأخرى بصوت التكبير والتهليل فروّع العدو من ذلك ؟! ثم ألا يستحق من خلصّ جنده من هوة الموت أن يبجّل من كل إنسان ؟ و ألا يستحق أمير المؤمنين وشريكه في أمره ـ الفتى الجعفي ـ الأجر العظيم منه تعالى؟

نعم لقد استحق الإمام (عليه السلام) العظمة والتبجيل والأجر بما قدمّه من تدبير خالص العنوان إلى الله جلّ وعلا.

المطلب السابع: تأثيره (عليه السلام)

السجايا الكريمة التي جمعت في شخصية الإمام (عليه السلام) جعلت منه يترك تأثيراً طيباً في نفوس جنده الذين يفدونه بأنفسهم، وتعدى تأثير أمير المؤمنين من أصحابه إلى غيرهم ممن كان عدواً له ، فانقلبوا إلى بحبوحة الرحمة ، وهوت أفئدتهم إليه ؛ مما يرونه من جمال أخلاقه ، وجلال هيبته .أوفد معاوية رجلاً من بني عبس له لسان طلق ، ومنطق زلق وشعر ، ولا يبالي ما قال وما يخرج من فيه ،ولا يتأثر بسهولة مما يشاهد من الحق وآياته ، وكان قد استخف بأمير المؤمنين (عليه السلام) **((وهم الناس بالعبسي ، وقاموا إليه بالسيوف ، فقال علي رضي الله عنه :دعوه فإنه رسول ، ولكن خذوا منه الكتاب .قال: فأخذ الكتاب من يده ودفع إلى علي ، فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من :بسم الله الرحمن الرحيم . قال:فعلم أن معاوية يحاربه وأنه لم يجيبه إلى**

---

١ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٢٦١.

شيء.فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبي الله ونعم الوكيل .فأنشأ قيس بن سعد بن عبادة وهو يرتجز ويقول شعراً .قال ثم أن العبسي رسول معاوية قام إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين والله لقد أقبلت وأنا اشد الناس عليك حنقاً لما أخبرني عنك أهل الشام ، وقد والله أبصرت الآن ما فيه أهل الشام من الضلال ، وما أنت فيه من الهدى ، لا والله ما كنت بالذي أفارقك أبداً ، و لا أموت إلا تحت ركابك ، ثم إنه كتب إلى معاوية أبياتا مطلعها :

كدت أهل العراق بالبلد الشام شفاهاً وكان كيدي ضعيفاً))[1]

أخلاق الإمام يركن إليها كل إنسان سوي فيقتبس منها نوراً وهدى، ومن لطف الله تعالى على ذلك الرجل الشامي أن يتحول من عدو إلى صديق حيث فتح بصيرته ليجد الحق مستقراً عند أمير المؤمنين (عليه السلام).

ونفذت أخلاق أمير المؤمنين إلى رجل آخر فعرف الحق وعرف أهله فمال به الإيمان إلى الهدى وانضم إلى أتباع أمير المؤمنين ((**وكان مع علي رجل من آل ذي يزن الملك يقال له سعيد بن حارثة وكان مسكنه الشام فلما لم يجب معاوية إلى الطاعة ولم يبايع علياً (عليه السلام) ترك الشام وأهله وأمواله وصار إلى علي (عليه السلام) وكان عابداً يصلي كل يوم وليلة مائة ركعة))**[2]

إن الأخلاق التي يرسمها الإمام بطبعه التلقائي تروي النفوس العطشى، والتي تيبست تربتها فتجد سبيلاً سلسبيلاً. ويسقون ماءاً طهوراً من أخلاق أمير المؤمنين، وهذا ما حصل لأحد الشاميين الذي أرسل مع مجموعة من أصحاب معاوية رجاء السماح لهم بورود ماء الفرات، بعد أن بدأوا العدوان وذادوا أصحاب الإمام عن الماء وأخذ منهم

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص١٤٤ـ ١٤٥.

٢ ـ مناقب الخوارزمي: ص١٦٣.

بالقوة ـ وسمح لهم الإمام بذلك فتأثر رجل منهم كان لديه استعداد لقبول الحق ((**وقال رجل من الشاميين اسمه مقاتل بن زيد العكي يا أمير المؤمنين وإمام المسلمين وابن عم رسول رب العالمين أن معاوية يعتل بدم عثمان والله ما يطلب بذلك إلا الملك والسلطان والله يعلم أني أحبك وان كنت من أهل الشام والله لا أرجع إلى معاوية بل أخدمك وأكون أول مبارز عسى أن أقتل بين يديك فإن القتل في طاعتك شهادة**))[١]

و خلاصة ما نريد قوله إن الإمام (عليه السلام) كان له أخلاق مؤثرة في صحبه وأعدائه وقد جذبت عدداً من الأفراد ومالوا إليه ونصروه ولازموه في طريق الجهاد، وهذه الخصيصة ثبتت لأمير المؤمنين عند إدارته للعمليات في مشاهده المقدسة.

المطلب الثامن: تحفيزه لأتباعه

كان الإمام (عليه السلام) قد شجع أتباعه وشوقهم إلى الجهاد عبر ثنائه عليهم و ما تحملوه في سبيل الله من معاناة وصبر ومنازلة، إن ثناء أمير المؤمنين وتقديره لأصحابه حفزهم إلى القتال وأثار فيهم روح الشجاعة و البسالة، ((**فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قبل الميمنة ، فجاءنا عليّ حتى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوت عالٍ جهيرٍ ، كغير المكترث لما فيه الناس :لمن هذه الرايات ؟قلنا :رايات ربيعة :فقال :بل هي رايات الله عزّ وجلّ ، عصم الله أهلها ، فصبّرهم ، وثبت أقدامهم .ثم قال لي: يا فتى، ألا تدني رايتك هذه ذرعاً ؟قلت:نعم والله وعشرة أذرع، فقمت بها فأدنيتها حتى قال: ان حسبك مكانك، وثبت حيث أمرني، واجتمع أصحابي**))[٢]

---

١ ـ المصدر السابق: ص١٤٩.

٢ ـ تاريخ أبي مخنف: ج١:ص١٨٩؛ و مناقب الخوارزمي: ص١٥٦؛ والكامل في التاريخ: ج٢: ص٣٧٤.

فهم أهل ربيعة أن أمير المؤمنين عندما جاء إليهم ، فإنهم أصبحوا ثقته ودرعه، ولذا تباروا فيما بينهم في حماية الإمام (عليه السلام) وإرسال الحملات المتوالية على عدوهم، وقد قاتلوا قتالاً شديداً أثبتوا فيه حقاً أنهم رايات الله تعالى((**أن علياً حيث انتهى إلى ربيعة، تبارت بينها، فقالوا : إن أصيب عليّ فيكم وقد لجأ إلى رايتكم افتضحتم . وقال لهم شقيق بن ثور:يا معشر ربيعة لا عذر لكم في العرب إن وصل إلى عليّ فيكم ، وفيكم رجلٌ حيّ، وإن منعتموه فمجد الحياة اكتسبتموه.فقاتلوا قتالاً شديداً حين جاءهم عليّ لم يكونوا قاتلوا مثله**))[1]

وكان أمير المؤمنين يتحرك بين أتباعه ويجمعهم لينالوا بجهادهم الجزاء الأوفى ((**فجمع علي قبائل همدان بين يديه ، ثم أقبل عليهم ،فقال :أنتم درعي ورمحي ، وسناني ، وجنتي ، والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلتكم إياها خاصة، يا معشر همدان ، فقال سعيد بن قيس : والله يا أمير المؤمنين ، ما نصرنا إلا الله ، ولا أجبنا غيره،ولقد قاتلنا مع من ليس له مثل سابقتك ولا قرابتك فارم بنا حيث شئت ، وأين أحببت ، فنحن لك سامعون مطيعون**))[2]

بعد أن يحثهم ويحفزهم القائد يستجيب الجنود بالطاعة لما يحب وينتدب وعندها يندفع أتباعه طمعاً في طلب الآخرة وإيثاراً لنصرة الإمام (عليه السلام).

وفي أحد أيام صفين جاء قيس بن سعد بن عبادة وقام بين يدي الإمام فأظهر ولاءه ونصرته وصبره وتجلده وبصيرته في دينه ((**فأثنى عليه علي رضي الله عنه، وعلى قومه من الأنصار ثناءً حسناً فأنشأ قيس بن سعد يقول شعراً، قال : ثم صاح قيس**

---

١ ـ تاريخ ابن مخنف :ج١: ص١٩٤.

٢ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٢٥٤.

بن سعد بالأنصار فحمل وحملوا معه على أهل الشام ، فقاتلوا قتالاً شديداً ورجعوا إلى مواضعهم))[١]

وهناك تحفيز للإمام لبعض المجاهدين في صفين كسليمان بن صرد الخزاعي الذي لاحظ فيه الجروح فمدحه وأثنى عليه[٢]، ولعبد الله بن الطفيل العامري حيث أثنى عليه وعلى قومه[٣].وعلى الفتى الجعفي عبد العزيز بن الحارث حيث أثنى على موقفه البطولي[٤].و مواقف أخرى كثيرة اعرضنا عنها خشية الإطالة[٥]

المبحث السادس:مسؤوليات أخلاقية أخرى عند أمير المؤمنين

إن جامعية أمير المؤمنين (عليه السلام) شملت أبعاد مختلفة من المسؤوليات التي حمل عبئها وهي كما يلي:

المطلب الأول:إفشال الشائعات

لجأ معاوية وبطانته إلى ترويج الشائعات ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) من قيل أن الإمام هو الذي قتل عثمان ، وأنه لا يصلي هو وأتباعه إلى غير ذلك ((**ألا وإني مخبركم أن معاوية بن أبي سفيان قد شكك أهل الشام ،وزعم لهم أني أنا الذي قتلت عثمان بن عفان، وقد حارب عاملي، ويوشك أنه سينازعني حقي ويدفعني بجموع أهل الشام ،ألا وأني قد عزمت على الكتابة إليه**))[٦]الإمام يطلع الأمة على طبيعة

---

١ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٣٥٨.

٢ ـ المعيار والموازنة: ص١٨١.

٣ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج١:ص٣٣٠.

٤ ـ المصدر نفسه:ج١:ص٢٦١.

٥ ـ الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٣٦٧؛ والكامل في التاريخ: ج٢: ص٣٨٢.

٦ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي : ج ١: ص١٤١.

التضليل الذي أشاعه معاوية بين أهل الشام، ويبدأ بمعالجة هذا الموضوع عبر الكتابة إليه وإيقافه على الحقيقة التي غاب عنها.

وروّج عمرو بن العاص وهو المستشار، أو المعاون الأول لمعاوية ؛ روج إلى أن الإمام (عليه السلام) فيه دعابة تصل به إلى الحد الذي يعافس ويمارس ((**عجباً لابن النابغة !يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة،وأنيّ امرؤ تلعابة: أعافس وأمارس!لقد قال باطلاً، ونطق آثماً .أما وشرّ القول الكذب إنّه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل...أما والله إنيّ ليمنعني من اللّعب ذكر الموت وأنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة**))[1]

ويلاحظ من قراءة النص أن بعد تشخيص الشائعة و مصدرها يأتي الإمام (عليه السلام) على تفنيدها، وبيان أخلاق عمرو بن العاص والدوافع التي دعته لبيع مثل هذه السلعة البائرة والتي حاول إعارتها للناس ولكن دون جدوى فالإمام (عليه السلام) طرد هذه الشائعة التي سيقت إلى ساحته المقدسة ظلماً وزوراً بأن ذكر الآخرة أخذ به فأنساه مثل هذه الدعايات والدعابات التي نسجها مكر ابن النابغة.

وأحياناً يقوم أصحاب الإمام بتفنيد تلك الشائعات التي قدمها معاوية وأصحابه مادة ينشغل بها أهل الشام، وتوردهم موارد الحرب.وبالفعل نجح معاوية إلى حدٍ ما في تضليل الرأي العام داخل الشام، ذلك أن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قد برز لأحد فتيان أهل الشام، وسعى هاشم في أن يقدم النصيحة له وتنبيهه إلى العاقبة التي تنتظره، وقد وجد أن هذا الشاب الشامي قد تم تعبأته بمعلومات سوداء وغير صحيحة عن الإمام وجنده، فدحض الكذب الرخيص وأزاحه عن مخيلته وصدره فثاب الشامي إلى رشده و إليك طرفاً من المحاورة التي جرت بينهما ((**فقال له هاشم:يا هذا إن هذا الكلام بعده**

---

١ ـ نهج البلاغة: ج٤٨: ص١٤٠.

الخصام ،وإن هذا القتال بعده الحساب ،فاتّق الله فإنّه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به .قال:فإنيّ أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي وأنتم لا تصلّون، وإن صاحبكم قتل خليفتنا وانتم ساعدتموه على قتله.فقال له هاشم:ما أنت وعثمان، قتله أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): وأبناء أصحابه وقراء الناس، وهم أهل الدين والعلم، وما أهمل أمر هذا الدين طرفة عين. وأمّا قولك:إن صاحبنا لا يصلّي، فانّه أول من صلّى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول (صلى الله عليه وآله) وأما كل من ترى معي فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجّداً، فلا يغوينك هؤلاء الأشقياء فقال الفتى:فهل لي من توبة ؟قال نعم،تب لله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات))[١]

وأحياناً أخرى يساهم جهل الناس في صناعة الشائعة وتسويقها إلى الناس الذين لاحظّ لهم من العلم إلا بما حسبوه من العلم الذي أصابوه والذي لا يدفع عنهم باطلاً، ولا يوصلهم إلى حقيقة، وقد عانى الإمام (عليه السلام) من السواد الأعظم من أهل الكوفة نظراً للأهواء التي تكتنفهم، والجهل الذي يتملكهم، معاناة كبيرة، حتى أرسلت إليه سهام التهم من طرف آخر ((**حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاما مني**))[٢]

أمير المؤمنين بذل جهداً كبيراً في توعية الناس لئلا يكونوا فريسة سهلة تتلاعب بهم الشائعات وقد أوقفهم في كل أمر على المحجة البيضاء، وأراهم الحقيقة وجانبها، والباطل ومجانبته. وغالباً ما يلجأ العدو في الحرب إلى زج الشائعات ضد المسلمين كتلك التي

---

١ ـ الكامل في التاريخ: ج٢: ص٣٨٤.

٢ - نهج البلاغة: الخطبة ٢٧: ص٧٦.

دفعت إلى صفوف جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فبعد أن اشتد القتال في صفين ((**وفقد أهل العراق أمير المؤمنين (عليه السلام) وساءت الظنون، وقالوا لعله قتل فعلا البكاء والنحيب فنهاهم الحسن عن ذلك وقال: إن علمت الأعداء ذلك منكم اجترؤا عليكم وان أمير المؤمنين (عليه السلام) أخبرني أن قتله يكون بالكوفة و كانوا على ذلك إذا أتاهم شيخ كبير يبكي ويقول: قتل أمير المؤمنين وقد رأيته صريعاً بين القتلى فكثر البكاء والانتحاب فقال الحسن :يا قوم ان هذا الشيخ يكذب فلا تصدقوه**))[1] وبعد برهة من الوقت يأتي أمير المؤمنين فيرون أن ذلك لا حقيقة له.

ويعرف مما تقدم أن معاوية وأصحابه قاموا ببث الشائعات والكذب من أجل الوصول إلى مآربهم، واعتبروا ذلك جزءاً من الحرب التي يخوضونها، في حين قام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه ببيان الحقيقة من دون إضافة عليها، وقد أبطلوا تلك الأكاذيب الأموية، بالصدق والوضوح العلوي.

المطلب الثاني: حقنه لدماء المسلمين

تولى الإمام (عليه السلام) مسؤولية حفظ دماء المسلمين وتجنيبهم الوقوع في الفتن، ولكن معاوية وأصحابه قد سمت بهم الأهواء فكانوا يسيرون في عكس الاتجاه الذي يقصده الامام وهو تجنب إراقة دماء المسلمين. ولذا تكلّم الإمام مع بعض وجوه أهل الشام كالضحاك بن قيس، وحبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط وغيرهم؛ وقال لهم إن الحل لهذه المعضلة القائمة هو أن يخرج معاوية له إلى الفيافي البعيدة ، ويبتهلان إلى الله بأن يجعل الدائرة على من أبى وبغى وعصى ، ومن يربح الجولة تكون له الطاعة ((**قولوا لصاحبكم هذا حتى يخرج إلى الصحراء ثم إني أدعو الله ويدعو هو أيضاً،أن**

١ - المناقب : الخوارزمي : ص١٧٠.

يقتل منا المحق المبطل ، ثم إني أبارزه فأينا قتل صاحبه ملتم معه بأجمعكم))[١] هذا المنطق هو نفس المنطق الذي أراده معاوية في حرب صفين ، حيث تكون الغلبة للأقوى لكن مع فارق ؛ أن معاوية آثر الاحتماء بالناس وتقديمهم طعمة للحرب في حين ان الإمام يحمي الناس حيث حاول إبعاد الناس عن الحرب وطرح ان يكون القتال محدوداً بينه وبين معاوية فبرز((**حتى وقف بين الصفين على فرس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم نادى يا ابن هند إني قد أقبلت إليك أسألك إن تحفظ هذه الدماء ، وتبرز إلي ، وأبرز إليك ، فيكون الأمر لمن غلب ،قال :فسكت معاوية ولم ينطق بشيء ،فقال له ــ عبيد الله ــ بن عمر :هذا ما كنا فيه فابرز الآن إلى علي ، كما زعمت ، قال :فما نطق معاوية ،وجال علي جولة ،ثم حمل على ميمنة معاوية فأزالها ، ثم حمل على الميسرة فطحنها ، وكسر بعضهم على بعض ، وقتل منهم جماعة ، ثم رجع إلى موضعه ، ونظر عبيد الله بن عمر إلى معاوية ، فإذا هو قد أربد وتغير))**[٢] ويكمل ابن أبي الحديد في شرحه للنهج هذه الحادثة ((**قال له عمرو: لقد أنصفك ، فقال معاوية :ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ! أراك طمعت في أمارة الشام بعدي.))**[٣].

ومن خلال هذه الدعوة المنصفة التي قدمها أمير المؤمنين (عليه السلام) يتضح أن معاوية هو الذي يريد أن يواصل الحرب بحشر الناس إليها، وجلوسه جانباً وبعيداً عنها .

وعليه يظهر أن الانطلاقة الأخلاقية المسئولة عند الإمام هي التي حركت فيه أن يحسم الصراع بذلك النداء الذي وجهه إلى معاوية فلاذ بالصمت.

---

١ ـ الفتوح : ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٤٠٣.

٢ ـ الفتوح: ابن أعثم الموفي: ج١: ص٢٦٧؛ وانساب الأشراف: ص٣٠٣؛ والبدء والتاريخ : ج٢: ص٢٢٥ـ ٢٥٦؛ ومناقب الخوارزمي : ص١٦٣.

٣ - شرح نهج البلاغة: ج١: ص٢٠.

المطلب الثالث:تسديده للأحسن

عند سير الإمام من النخيلة وبعدها إلى الصراة ثم إلى المدائن[1] و كان قد سير أمامه الحرّ بن سهم بن طريف التميمي فلما انتهى ((**إلى آثار كسرى وقف ينظر إليها ويتمثل بقول الأسود بن يعفر:**

حجر الرياح على محل ديارهم وكأنما كانوا على ميعاد

فقال له عليّ رضي الله عنه:فلولا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [2] إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين.إنّ هؤلاء لم يشكروا النعم فسلبوها بالمعصية، فإياكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النقم .[ثم قال] انزلوا بنا هذه الفجوة)) [3].

لم يكتفي الإمام (عليه السلام) بتصحيح قوله؛ وإنما زاد على ذلك بان كشف وجه ماضيهم وكيف توافت بهم الأمور إلى المعصية، وحذّر الإمام (عليه السلام) أصحابه من سلوك السابقين و الابتعاد عنه إلى الطاعة.

ويسدد الإمام (عليه السلام) للصواب أصحابه عندما يرى سبهم وشتمهم لأهل الشام، فيعلن موقفه بكرهه لذلك ويدلهم على الصواب من القول بوصف مساوئ أعمالهم ويعرفهم القول الذي يحبه بأن يدعون الله بأن يصلح هذه الأمة ((**عن عبد الله بن شريك قال : خرج حجر بن عديّ،وعمروبن الحمق ، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام ، فأرسل إليهما علي: ان كفّا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين ؟ قال: بلى.[أو ليسوا مبطلين ؟ قال : بلى]. قالا فلم منعتنا**

---

١ ـ أنساب الأشراف: ص٢٩٦.

٢ ـ الدخان: ٢٥-٢٦.

٣ ـ المعيار والموازنة: ص١٣٢.

من شتمهم ؟ قال: ((كرهت لكم أن تكونوا لّعانين شتامين، تشتمون و تتبرؤن . و لكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن عملهم كذا وكذا ،كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر .و[لو] قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم :اللهم احقن دماءنا ودماءهم ،وأصلح ذات بيننا وبينهم و اهدهم من ضلالتهم ،حتّى يعرف الحقّ من جهله ، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به ،كان هذا أحبّ إليّ وخيراً لكم)).فقالا: يا أمير المؤمنين ، نقبل عظتك .ونتأدب بأدبك))[1].

إن هذا التقويم للأحسن من القول ؛ لاقى قبولاً ومسارعة من أصحاب الإمام (عليه السلام) ،لأنه حدد إليهم الاتجاه الصحيح الذي عليهم أن يسلكوه في جهمة ليل الحرب .

المبحث السابع: صور أخلاقية متفاوتة أفرزتها الحرب

كان لمعركة صفين افرازات وصور عديدة متباينة خرجت من جبهتين؛ أحدهما جبهة الأخلاق الإسلامية وجسدها الإمام علي وصحبه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والثانية جبهة الأخلاق الجاهلية و مصداقها معاوية وفصيلته التي تؤيه وفيما يلي تلك الصور التي افرزتها الجبهتان:

الصورة الأولى يجزي بالسيئة الحسنة

عندما وصل عمرو بن سفيان ((**أبو الأعور السلمي**)) إلى شاطيء الفرات قبل أن تصل مقدمة الأمام (عليه السلام) والتي يقودها زياد بن النضر قام القائد الشامي وبأمر من معاوية وأعوانه بمنع أصحاب الأمام (عليه السلام) من الماء حيث ((**بعثوا بغلمانهم يستقون**

---

١ ـوقعة صفين :ص١٠٣؛ والفتوح : ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٢٠٠؛ ونهج البلاغة :الخطبة ٢٠٦: ص٤٢٨.

هم فمنعم من شرب الماء معاوية يزداد بذلك بغياً على بغيه جرأة على الله في منعه))[١]

والإمام حاول حل الموضوع عبر إرسال أهل الرأي، ولم تفلح تلك الجهود وعاد مبعوث أهل العراق الذي كان صعصعة بن صوحان من دون جدوى ؛ عندها اضطر الإمام على الإذن لأصحابه بمقاتلتهم، ((**فبعث عليّ الأشتر النخعي فقاتلهم وطردهم وغلبهم على الشرعة، فأرسل إليه عليّ:لا تمنع عباد الله الماء**))[٢]

الإمام لا يقابل السيئة بمثلها بل يقابل السيئة بالحسنة وتلك أخلاق القرآن ((**فأرسل إلى أصحابه أن خلّوا بينهموبين الماء نعدل وإن ظلم وبغى وغدر ونصف وان منع النصف**))[٣]و هذه أحدى الإفرازات التي حصلت في بداية معركة صفين وحصلت في الليالي الأخيرة من ذي الحجة.[٤]

الصورة الثانية: الأسرى في العرف العلوي والعرف الأموي

لقد كان الإمام يريد تامين حرية أهل الشام بإخراجهم من ذل الطاعة الباطلة التي يدينون بها لمعاوية، وكانت أخلاقه دائماً تميل إلى العفو لأنه أقرب إلى التقوى التي تلحق بالإنسان في موكب الراحلين إلى الله تعالى.

لقد وقع في قبضة الإمام (عليه السلام) عدد كبير من الأسرى فأطلق سراحهم دون مقابل ودون أن يأخذ منهم شيئاً، وكان على العكس من ذلك معاوية وابن العاص يرجع بعضهم إلى بعض القول في قتل الأسرى وبينما كان رأي ابن النابغة أن يقتلهم فإذا هم بأسراهم قد أخلي سبيلهم، فكانت المبادرة الخيرة من أمير المؤمنين بهذا الشأن أما معاوية

---

١ ـ المعيار والموازنة: ص١٤٦.

٢ ـ الكامل في التاريخ: ج٢: ص٢٢٤.

٣ ـ المعيار والموازنة: ص١٤٦.

٤ ـ أنساب الأشراف: ص٢٩٩.

وقرينه فكانت خطوتهم الأولى أن يقتلوا ثم الخطوة الثانية هي رد فعل لما قام به أمير المؤمنين ((**عن الشعبي، أن أسارى كان أسرهم عليّ يوم صفّين كثير، فخلّى سبيلهم، فأتوا معاوية، وإنّ عمراً ليقول ـــ وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة؛ اقتلهم ، فما شعروا إلا بإسرائهم قد خُلّي سبيلهم ، فقال معاوية يا عمرو ، لو أطعناك في هؤلاء الأسرى وقعنا في قبيح من الأمر ؛ ألا ترى قد خلّي سبيل أسارانا وأمر بتخلية سبيل من في يديه من الأسارى**))[1]

أخذ الأشتر أحد طلائع معاوية فاقتاده أسيراً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وطلب الأشتر أن يهبه له ، فكان له ما أراد إلا أن الأمام (عليه السلام) وضح بأن لا يقتل الأسير ولا يفده؛ لأنه أسير قبله فأطلقه الأشتر وأحسن إليه ((**يا أمير المؤمنين هذا رجل أخذته البارحة أسيراً بلا قتال ، و والله لو علمت أن قتله أحب إليك لقتلته ، وقد بات البارحة عندي ، وحرّكني بأبيات قالها ، فإن أحببت قتله فأقتله، وان كنت فهبه بالخيار فيه لي فقال : هو لك يا مالك ، وإذا أصبت أسيراً فلا تقتله ، فإن أسير القبلة لا يفادى ولا يقتل فرده الأشتر إلى رحله ، فأحسن إليه ، ورد عليه ما كان أخذ منه وأطلقه**))[2]

ومن هنا نجد أن هناك تبايناً تاماً بين العرف العلوي الأخلاقي ، والعرف الأموي الجاهلي في التعامل مع الأسرى.

---

١ ـ تاريخ أبي مخنف :ج١: ص٢٠٧؛ والكامل في التاريخ :ج٢: ص٣٨٣.

٢ ـ وقعة صفين: ص٤٦٧؛ والفتوح: ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٣٤٥ـ٣٤٦.

الصورة الثالثة: الإمام علي (عليه السلام) يبرّ ، ومعاوية يغدِر و يفجُر

أمير المؤمنين (عليه السلام) قد طبع على فعل الخير فهو خير البريّة، و هو ((**راية المهتدين، ونور المطيعين، وولي المتقين، وإمام العادلين**))[١]. وقد عجت الكتب بما له من مآثر أخلاقية عظيمة، فهو الذي نبت في بيت النبوة إذ كان غيره يرتضعون من الدنيا جاهليتهم، فلا ريب إن يكون الإمام (عليه السلام) يحمل أجمل ما تحمل أعماق الإنسان من نبل وخير وكرامة فلا يعرف طريقاً غير طريق الآخرة ، ولكن غيره يتقنون العمل لدنياهم ((**والله ما معاوية بأدهى منّي ، ولكنه يغدر ويفجر . ولو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلّ غدرة فجرة. وكلّ فجرة كفرة.** ((**ولكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة**)) **والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة**))[٢]، **لو لا أنّ المكر في النار لكنت أمكر العرب**))[٣] فالإمام (عليه السلام) يصده عن فعل المكر والخديعة كراهيتها و مآلها إلى النار ، ولذا فهو يبحث عن العمل الذي يليق بالمسلم، والذي يدخله إلى الجنة ، و يذكر المؤرخون أن أمير المؤمنين و أثناء مروره من أمام أهل الشام أخذ يلعنونه ويشتمونه ((**فقال : من هؤلاء ؟ فقالوا [جماعة فيهم]الوليد بن عقبة فقال : أنهدوا إليهم وعليكم السكينة والوقار وسيماء الصالحين ووقار الإسلام**)).[٤]

نعم شتان ما بين أولئك الذين يشتمون ويلعنون ، وظاهرة عليهم انفعالاتهم، ونزواتهم، وبين أولئك الذين عليهم السكينة وسيماء الصالحين ووقار الإسلام؛ لأن أولئك مؤدبهم معاوية ، وابن النابغة ، ومن شاكلهم في سرائرهم وأفعالهم، إن معاوية

---

١ ـ حلية الأولياء: ج١: ص٦٥.

٢ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠: ص٤٢٢؛ والمعيار والموازنة: ص١٦٦.

٣ ـ بحار الأنوار: ج٤١: ص١٠٩.

٤ ـ المعيار والموازنة:ص١٥٢.

وأصحابه ((**خدعوا بعض هذه الأمّة، واشربوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان**)).[١]

واستمر معاوية على طريقته في الخديعة والمكر ، حتى الأيام الأخيرة في صفين ، حيث نفذوا تغريرهم ، برفع المصاحف ؛ فتفرق جيش الإمام ((**و استحرّ بهم القتل، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف، ودعوكم إلى ما فيها ليفثؤوكم عنهم، وتقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويتربّص بكم ريب المنون خديعة ومكيدة**))[٢] وأمام هذه المكيدة انفرط عقد جيش الإمام (عليه السلام) وأخذ ينبههم لهذه الخديعة بكل صدق وصفاء راجياً لهم العود إلى الطاعة إلا أنهم استحسنوا ما عرض عليهم من عرض قاصد وزائل.

وهكذا يشاهد الفارق الكبير بين المثل التي التزم بها أمير المؤمنين من اجل ردع الباطل ونشر الفضيلة ، وبين القيم الأموية التي **تريد نيل الهدف بأي وسيلة كانت** .

---

١ ـ الإرشاد ج١:ص٢٦٤.

٢ - المصدر نفسه: ج١: ص٢٦٩.

الفصل الثالث

أخلاق الحرب

عند الإمام علي «عليه السلام»

معركة النهروان

الفصل الثالث : أخلاق الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) في معركة النهروان[1]

(٩ / صفر / سنة ٣٨هـ)

إنطلت خدعة رفع المصاحف على جيش الإمام علي (عليه السلام) ، وأذعنوا للمخطط الذي رسمه معاوية وابن العاص ، رغم أن أمير المؤمنين وأصحابه المخلصين كانوا قد نبهوا إلى هذه الخدعة التي تشبث بها أهل الشام ، وعندما عاد الإمام وجيشه إلى الكوفة في ربيع الأول سنة (٣٧ هـ) ، كان قد اعتزل منه عدد من جيشه يبلغ اثنا عشر ألفاً ونزلوا في قرية من قرى الكوفة يقال لها حروراء [2] ، وأعلنوا عدائهم للإمام (عليه السلام) ولأهل الشام.

وكان أهم الأشخاص في الخوارج ممن لهم دور في معارضتهم للإمام (عليه السلام) ، زيد بن حصين ، وزرعة بن البرج الطائيان ، وحرقوص بن زهير السعدي ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وحمزة بن سنان ، وشريح بن أوفي العبسي [3] ، وقد تلقف عبد الله بن وهب الراسبي زعامة الخوارج ، بعد أن أبى غيره من رؤوسهم ، فبايعوه وذلك ليلة الجمعة لعشر ليال بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ، في منزل زيد بن حصين [4].

وبعد التحكيم في دومة الجندل في رمضان سنة (٣٨هـ) [5] ، أجمعوا على قتل أمير

---

١ - النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد . معجم البلدان : ياقوت الحموي ؛ تحقيق عبد العزيز الجندي : ج٥: ص٣٧٥.

٢ - مروج الذهب : ج٢: ص٣٩٥.

٣ - تاريخ أبي مخنف : ج١: ص٢٢٨.

٤ - أنساب الأشراف : ص٣٦٢.

٥ - تنبيه والاشراف: ص٢٧٢.

المؤمنين (عليه السلام) إن لم يتب عن كفره في تحكيمه الرجال في دين الله [١] ، وأرسل الخوارج إلى أشباههم من أهل البصرة ، فوفدوا من فورهم في خمسمائة رجل عليهم مسعود بن فَدَكي التميمي [٢].

وبعد مراسلات ومناظرات بين أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والخوارج عاد قسم كبير منهم إلى رشده ودخلوا الكوفة وكان عددهم ثمانية آلاف وعلى رأسهم عبد الله بن الكواء اليشكري من بكر بن وائل [٣].

وبقي من الخوارج أربعة آلاف ، يتزعمهم عبد الله بن وهب ، وساروا إلى المدائن ، وقتلوا ذبحاً عامل أمير المؤمنين عليها ، عبد الله بن حباب ، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أمّ سنان الصّيداوية ، وبلغ أمير المؤمنين ذلك فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليتقصى حقيقة ما بلغه عنهم ، فخرج القوم إليه فقتلوه [٤] ، وغيّر أمير المؤمنين (عليه السلام) وجهته من الشام إلى النهروان بعد أن رأى أصرار الناس أن يبدأوا بالخوارج ، فسار إليهم في خمسة وثلاثين ألفاً من أهل الكوفة [٥] وألف ومائتين من البصرة [٦] ، وذلك في محرم سنة ثمان وثلاثين ، فدعاهم فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه ، وبقي عبد الله بن وهب الراسبي في ألف وثمانمائة ، وقيل ألف

---

١ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٣٦؛ مروج الذهب: ج٢: ص٤٠٥.

٢ - المصدر نفسه: ص٢٣٠.

٣ - الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٤٩٩؛ مروج الذهب: ج٢: ص٣٩٥.

٤ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٣٤؛ مروج الذهب: ج٢: ص٤٠٤-٤٠٥.

٥ - مروج الذهب : ج٢: ص٤٠٤.

٦ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٣٣.

وخمسمائة ، وقيل ألف ومائتين ، فقتلوا إلاّ نفراً قليلاً [١]، لتسع خلون من صفر ، سنة ثمان وثلاثين [٢].

وفي هذه المعركة انبثقت أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) كانبثاق نور الفجر من وراء غسق الليل ، وفيما يلي تلك الأخلاق:

المطلب الأول : سنته الرّشد والهداية

بعد أن اعتزل الخوارج الكوفة وانحازوا إلى حروراء ، أخذ الإمام (عليه السلام) يحدوهم بالحوار كي يستوثقوا ويهتدوا إلى سبيل الرشاد ، واستمر يناظرهم ستة أشهر [٣] ، فأرسل إليهم أمير المؤمنين غلامه ليوقفهم وينقل لهم ما يقوله الإمام ((**فأقبل غلام علي، حتى أشرف على القوم بالنهروان ، فقال لهم ما أمره به ، فقال له الخوارج : ارجع إلى صاحبك فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً**))[٤].

ونجد مرونة من قبل الإمام في حين يقابلونها بالتصلب وعدم الرغبة في سماع شيء . ومرّة أخرى يبعث سفيراً ثانياً وعزّزه بثالث من أجل إعادتهم إلى سبل السلام وإيقافهم على الحقيقة ، فأرسل عبد الله ابن عباس وصعصعة بن صوحان يدعونهم إلى الجماعة [٥]، وقد كان الإمام يوصي رسله بأن يصبروا على ما يصيبهم ، وأن لا يردوا عليهم بنفس طريقتهم الانفعالية ، ويتحملوا استفزازاتهم ، وتجاوزاتهم .

---

١ - التنبيه والأشراف: ص٢٧٢.

٢ - أنساب الأشراف: ص٣٦٢.

٣ - البدء والتأريخ: ج٢: ص٢٢٧.

٤ - الفتوح: ابن أعثم الكوفي : ج١: ص٤٨٧.

٥ - البدء والتأريخ: ج٢: ص٢٢٧.

مهما كان منهم ؛ لأن ذلك سيجعل فرقاناً لهم بين سلوك أهل الدين ، وسلوك أهل الباطل ((**وإن شتموك فاحتمل ، وإياك أن تردّ على أحد منهم شيئاً**))[١] ، لأن ذلك يزيد في لجاجهم ، والإمام يريد أن يوصل صوت الحق دون أن تزاحمه أصوات الباطل فيضيع ندائه بين ضجيج ردودهم الانفعالية .

وتقدّم الإمام إليهم ((**حتى إذا واجه القوم فسلّم عليهم ، فردوا عليه السلام ، ثم قال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب فتكلموا بما نقمتم به عليَّ**))[٢].

من خلال النص يلاحظ أن الإمام يأخذهم بجميع أدب الحوار من الإقبال إليهم ، والسلام عليهم ، والمعرفة لحججهم ، والتفرغ للإجابة عنها ، فيأتي على ما أشكل عليهم وتلجلجت به صدورهم فيدمغه فإذا هو زاهق ((**ثم صاح القوم من كل ناحية ، قالوا: التوبة ، التوبة ، التوبة يا أمير المؤمنين ، فاستأمن إليه منهم ثمانية آلاف ، وبقي على حربه أربعة آلاف**))[٣].

هذه الهداية جاءت نتيجة للجهود الضخمة التي بذلها الإمام في سبيل نجاتهم من الهلكة .

وراسل الإمام ؛ رؤوس الخوارج كزيد بن الحصين ، وعبد الله بن وهب ، ومن معهما من الناس ، حيث حاول استيعابهم وإعادتهم إلى صفوفهم التي نأوا عنها ، وكأن شيئاً لم يحدث منهم ويخاطبهم وكأنهم من أصحابه يعرض عليهم الحال ، إلاّ أنهم أجابوا بصلف وتعنت ((**أمّا بعد ، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمهما قد خالفا كتاب الله ، واتبعا أهواءهما بغير هدىً من الله ، فلم يعملا بالسنّة ، ولم ينفّذا**

---

١ - الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٤٨٧.

٢ - المصدر نفسه: ج١: ص٤٩٧.

٣ - المصدر نفسه: ج١: ص٤٩٩.

للقرآن حُكماً ، فبريء الله ورسوله منهما والمؤمنون ! فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام))[١].

إن هذه الرسالة شبيهة بالرسائل التي يبعثها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عماله وجنوده في الأمصار ، فهو يعذرهم ، ويغض الطرف عمّا بدر منهم ، ويدعوهم إلى كلمة سواء بينهما ، وهي مواجهة عدوهم معاوية وجنوده المارقين .

وأجاب الخوارج على رسالة الإمام (عليه السلام) بعبارات أبسط ما يقال عنها أنها تفتقد إلى الذوق ، والصحة النفسية ((**وكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربّك ، وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلاّ فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين**))[٢].

في النهروان تحدث لهم قيس بن سعد بن عبادة ؛ راجياً عودتهم إلى سابق عهدهم في الطاعة والجماعة ، فلم يزالوا مصرين مستكبرين . وخطبهم أبو أيوب ، خالد بن زيد الأنصاري ، وأبدا صدق نصحه لهم ، فلم ينثنوا وأبوا إلاّ القتال ، وأتاهم الإمام (عليه السلام) فوقف عليهم ، ونصحهم ، وحاججهم ، فلم يبرحوا على شقاقهم ، وشقائهم[٣] ، وأخيراً رفع الإمام راية أمان مع أبي أيوب ، فانصرف عدداً منهم ، وبقي مع عبد الله بن وهب الراسبي ألفين وثمانمائة[٤] ، أو ألف وثمانمائة [٥].

---

١ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٣٠.

٢ - المصدر نفسه: ص٢٣١.

٣ - المصدر نفسه: ص٢٣٦.

٤ - المصدر نفسه: ص٢٣٨.

٥ - التنبيه والاشراف: ص٢٧٢.

ويتضح مما سبق أن الإمام (عليه السلام) اتبع كافة السبل والوسائل الشريفة في سبيل إعادتهم إلى الحق ، وقد أعيد القسم الأكبر منهم ، وبقي شطراً أخر على الضلالة ، فما ربحت تجارتهم .

المطلب الثاني: يحب للناس ما يحب لنفسه

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد حث الناس أول الأمر إلى جهاد أهل الشام ، إلاّ أنّه وبعد طلب الناس منه أن يعطف بهم على المارقين الذين قتلوا عامل الإمام على المدائن عبد الله بن حباب ، وامرأته وأربعة نسوة أُخريات ، بالإضافة إلى رسول الإمام إليهم ؛ الحارث العبدي ، فعندها ساروا إليهم ، وقد كانت التعبئة في الأساس إلى أهل الشام ، كما ذكرنا ذلك سابقاً ، وكان الإمام قد رأى تثاقل من الناس عن الاستعداد للذهاب معه كرّة أخرى إلى قتال أهل الشام فعندها أظهر الإمام عزمه وتصميمه على مقاتلة المارقين ، وحذر الناس من ترك الجهاد ، وبعدها دعا لنفسه وللناس ، وكأنهم لم يظهروا مخالفة له ، وهو كذلك حيث أن سعة صدره تتسع لأكثر من ذلك ، ولهذا فهو فعلاً يدعو لهم ، كما يدعو لنفسه ((**اللهم اجمعنا على التقوى ، وجنبنا وإياهم البلوى، وأجعل الآخرة لنا ولهم خيراً من الأولى**))[1].

ودعاء الإمام (عليه السلام) ليس فيه رائحة إلى الدنيا ، وإنّما كلّه ناظراً إلى الآخرة ، وغادياً إليها ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الإمام كان همّه في جهاد العدو ، وتحصيل رضا الله تعالى ، وأجيب دعاؤه ما أن نزل من خطبته ، حيث أجابه الناس سراعاً [2].

هذه المحبة للناس هي التي جعلت دعاءه يعبر عن مكنونها الذي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ليرفع إليها وله في دعائه للناس أسوة حسنة في الأنبياء (عليهم السلام) من قبله

١ - الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج١: ص٤٨٧

٢ - المصدر نفسه.

((**وإذ قال إبراهيم ربّ أجعل هذا البلد آمناً**))[١]، ((**ربّ أغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً**))[٢].

وعليه يتضح أن الإمام كان يملك آلة الرياسة في تحمّله لتثاقل الناس وتوليهم عنه ، حيث أخذ يدعو لهم بدعاء الرحمة ، كدعائه لنفسه ، وبعبارة أخرى أن دعاءه لنفسه ولهم كان على حد سواء.

المطلب الثالث : يكف عنهم ، ويبسطوا أيديهم لقتاله

أمير المؤمنين تقدم إلى الخوارج بعد أن طلب الناس منه ذلك [٣] ، وذهب إليهم وهو يرجوا عودتهم ، ولما لم يجد جواباً منهم ؛ طلب إليهم أن يسلّموا قتلة إخوانهم ممن ذهبوا ضحية الظلم والعدوان ، فأجابوا بأنهم كلهم قد اشترك في قتلهم ((**إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم**))[٤].

وأجابوا مصرين على ما فعلوا وهم يعلمون ((**كلنا قتلة أصحابك ، وكلنا مستحلٌ لدمائهم ، مشتركون في قتلهم**))[٥]، أمام هذه الاعترافات غير المسؤولة من هذه الفئة ، ما الذي يفعله أمير المؤمنين ؟

لقد حاول جاهداً أن يتجنب القتال مع أنّه هو المنتصر لوجوده بين جيشه باعتباره أكبر قائد إسلامي يمتلك خبرة قتالية وإطلاع منقطع النظير في الفنون العسكرية ، بالإضافة إلى العدّة والعدد الذي لديه ، إضافة إلى أحقية القضية التي يدافع من أجلها ، مع وجود هذه الأسباب وغيرها كان الإمام (عليه السلام) يريد الابتعاد عن الحرب ، ودعاهم إلى

---

١ - إبراهيم: ٣٥.

٢ - نوح: ٢٨.

٣ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٣٥.

٤ - المصدر نفسه: ج١: ص٢٣٨.

٥ - مروج الذهب: ج٢: ص٤٠٥.

التوبة والرجوع بعد أن اعترفوا بذنوبهم بقتل عدد من المسلمين، إلاّ أنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وأصروا ((**فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وهيئوا للقاء الربّ**))[١].

وأخذوا يتقدمون نحو تصعيد الموقف بعد رفضهم التوبة ((**فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له: قد رمونا ، فقال : كفوا ، فكرروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف ، حتى أُتيَ برجل قتيل متشحط بدمه ، فقال علي : الله أكبر ، الآن حل قتالهم**))[٢].

وحاصل ما نريد بيانه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ديدنه الكف عن أعدائه ويأمر أصحابه كعلامة وبادرة على عدم عدوانه ، بأنّ ((**لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤوكم**))[٣]، وهذا المبدأ الأخلاقي قد التزمه في كل موطن شهده الإمام (عليه السلام) ، إلاّ أن أعدائه في النهروان ، قد شدّوا على علي (عليه السلام) وأصحابه ، وتعجلوا الرحيل إلى نهايتهم .

المطلب الرابع: تفقده للقتلى ، والجرحى من أعدائه

بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وأتى حمام الموت على القوم من الفئة المارقة إلا عشرة منهم ، تفقد الإمام بعضهم، كالمخدج الذي أمر بطلبه فلم يجدوه فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه أثر الحزن ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض ، **فقال** : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه فكبر الإمام (عليه السلام) ، وقال ما كذبت على النبي محمد ، ثم نزل وخرّ ساجداً لله [٤].

---

١ - تاريخ أبي مخنف: ج١:ص٢٣٧.

٢ - مروج الذهب: ج٢: ص٤٠٥.

٣ - الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : ص٣٠٩؛ تحقيق الدكتور عصام محمد الحاج علي.

٤ - مروج الذهب: ج٢: ص٤٠٦.

الإمام بهذا الفعل يريد أن يقول أننا قاتلنا فئة ضالة ، وقد اخبره النبي (صلى الله عليه وآله) بها ، وأنبأه عن ما يكون فيها ، وعدد القتلى من الطرفين ، وأسماء الأشخاص الذين يقتلون ؛ كالمخدج كلها علائم ودلالات وضعها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهناك شيء آخر وهو أن الرسول عند ما يخبره بذلك ؛ لأنه عيبة علمه ، وعلى الناس أن يسألوا أمير المؤمنين (عليه السلام) عمّا سيواجهونه من مستجدات مستقبلية .

ويمرّ الإمام (عليه السلام) على صرعى النهروان فيكلمهم كما لو كان يراهم أوردوا الجحيم ورأوها عين اليقين ((**فقال: لقد صرعكم من غرّكم ، قيل : ومن غرّهم ؟ قال الشيطان وأنفس السوء ، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ، فقال : كلا والذي نفسي بيده ، وأنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء**))[1].

أما الجرحى فرأف بهم الإمام ونبّه إلى البحث عنهم ، ومداواتهم ، وحملهم إلى الكوفة ، ودفعهم إلى عشائرهم ، وكان عددهم أربعمائة رجل ، ورغم أن هذا العدد من الجرحى يشكل خطراً مستقبلياً على الإمام (عليه السلام) ، إلاّ أنه ما كان ليجهز عليهم ، بل منحهم فرصة في الحياة ومراجعة الذات ، والمواقف التي أودت بهم إلى ما هم عليه ، فالإمام يعتبر العفو عنهم ومداواتهم ، هو نصر للأخلاق ، وفرصة خير عليه أن ينتهزها، ولا يفكر في غير مواطن الصلاح التي يريد تثبيتها ((**وطلب مَن به رمق منهم فوجدناهم أربعمائة ، فأمر بهم عليّ فدفعوا إلى عشائرهم ، وقال: احملوهم معكم فداوُوهم ، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة**))[2].

---

١ - الأخبار الطوال: ص٢١٠.

٢ - تاريخ أبي مخنف: ج١: ص٢٤٠؛ الأخبار الطوال: ص٢١٠.

ونصل إلى حقيقة في المقام ، وهي أن الإمام (ع) كان على بينة من ربّه في قتال القوم المارقين ، وذكر للناس بعض دلائل آثره الرسول (ص) بها ، كما انه لا يجهز على جريح ، وهو ما عهد عنه ، وهو ما يعني أن الإمام ذو سجايا إنسانية وديعة يركن إليها ، ويرى أن النصر ليس بالقضاء على العدو ، وإنّما بالتزام الأخلاق عند محاربة العدو .

النتيجة:

المواقف الأخلاقية التي سطّرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحرب ؛ كانت عظيمة بهرت منها العقول ، ووقفت عاجزة عن وصفها ، وسبر كنهها ؛ لأن فيها حرارة أخلاقية طويت وصهرت في أطوار علي (عليه السلام)فجعلته يسبق حتى الفرصة في إسراعه إلى الخير . ومن يتصفح تلك المغازي والمعارك التي خاضها أمير المؤمنين (عليه السلام) يلفي ثمرات مختلفة الألوان ، وإليك طعمها الدائم عبر النتائج المستخلصة التالية:

١- إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد جعل الحرب ملحقة بالأخلاق ، حيث صبغ الحرب بأخلاقه ، وأبرز الجانب الإنساني والأخلاقي من بين ضجيج الحرب ولجبها .

٢- إعطاء الراية واللواء من النبيّ لعليّ (عليه السلام) في أكثر المشاهد ، تدل مضافاً إلى شجاعته بأنه يملك أخلاق تؤهله لأن يكون المقدّم على غيره.

٣- كثيراً ما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يرفع يده بالدعاء للإمام ويشايعه ، أو يعممه ، أو يعطيه سيفه في مغازيه ، وما ذاك إلاّ لوجود الخصوصيات الأخلاقية البارزة عنده ، والتي تجعله قريباً من النبي (صلى الله عليه وآله) فيحبوه بمحبته ولطفه.

٤- كان أمير المؤمنين (عليه السلام) أكثر المجاهدين سبقاً إلى التضحية ، بسبب نشأته الإلهية التي خصه بحيثياتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ أن كان فطيماً ، وقد بلغ من تضحياته أن جرح غير مرّة جراحات عديدة ، ليس لغيره من المسلمين المجاهدين تحت راية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مثل عديدها ، وحسبك أنّه جرح في معركة أحد ستة عشر جراحة.

٥- كل الغزوات والسرايا التي قادها الإمام (عليه السلام) حقق فيها الظفر للإسلام ، وأشاد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بدوره فيها وهو ما يدل على إخلاصه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى.

٦- لم يعرف عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قد سبق الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى شيء ، سوى مبادرته بالسؤال منه ، وأيضاً لم يعرف أنّه ضعف عن طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أو ردّ على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مهما بلغ ذلك الأمر ، وهو ما يعني أن الإمام هو المطيع إلى غير نهاية لله ولرسوله.

٧- تنوّع وكثرة الأخلاق التي طرحها الإمام علي (عليه السلام) في الحرب ، بحسب اختلاف المواقف والمشاهد التي أشرف عليها.

٨- تتسم أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنها تأتي على الرّوية والسجية ، دون أعمل تكلّف فيها.

٩- المعارك التي اشترك فيها الإمام (عليه السلام) أو قادها ، تتصف بأنها معارك لأجل بقاء الدين الإسلامي ، وتكليفه الشرعي يدفعه إلى المشاركة فيها من أجل الفوز برضا الله تعالى.

١٠- كان من أخلاقه الحربية أن لا يدعو أحداً لمبارزته ، باستثناء حالة واحدة دعا فيها معاوية إلى مبارزته من أجل تخليص المسلمين من نزيف الدم وحقن دمائهم ، كما أن من أخلاقه التي علّم بها جنوده أن لا يبدأوا أحداً بالقتال .

١١- في معاركه ضد الناكثين ، والمارقين ، والقاسطين ، أعاد إلى الأذهان سُنّة الرسول الأكرم وأخلاقه في الحرب.

١٢- بالإضافة إلى تمتع الإمام (عليه السلام) بصفات القائد القدير ؛ فإنّه يتمتع بصفات الجندي المطيع ؛ فتارة تراه يقود المعركة ويتابع تطوراتها ، وأخرى يشترك معهم كأحدهم .

١٣- اعترف وشهد له أعداءه بالفضل ، وبمُثله الأخلاقية في الحرب سواء في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو في ثناء خلافته .

١٤- تأثّر كثير من أعداء أمير المؤمنين بأخلاقه ، فأعلنوا توبتهم عن مناوئتهم له ، أو دخلوا في ظل طاعته.

١٥- كان الإمام عليّ (عليه السلام) سبّاقاً وميالاً إلى الحوار والصلح ، وعلى العكس من ذلك كان أعداءه يميلون إلى الاحتكام للحرب.

١٦- كان أمير المؤمنين لا يكره أحداً على خوض القتال معه ، ولكنّه يفضل المجاهدين على القاعدين درجة.

١٧- ضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) أروع الأمثلة في التزام ومداومة الفروض العبادية ، ومراودة أوراده في الحرب.

١٨- كان الإمام (عليه السلام) يطلب العافية ، حيث عفى عن أعدائه بعد القدرة عليهم ؛ بل إنّه عاملهم بالحسنى.

١٩- كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يرى أن على أتباعه قادة ، وجنوداً ؛ أن يتحلّوا بالأخلاق الإسلامية في ساحة المعركة ، بالإضافة إلى الشجاعة ؛ ولذا كان يوصيهم بالتزام التقوى ، وقيام الليل ، وقراءة القرآن ، واجتناب الغيبة ، وعدم شتم أعداءهم ، و... و... الخ .

القرآن الكريم

١- **الاختصاص**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ ق) ، تحقيق علي أكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم.

٢- **الأخبار الطوال** ، العلامة أبو حنيفة أحمد بن داود الدِّينوري (ت٢٨٢هـ) ، تحقيق الدكتور عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ . ق / ٢٠٠١م.

٣- **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد** ، الشيخ المفيد الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ ق)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الناشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، قم ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣هـ ق.

٤- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ ق) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، لبنان.

٥- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٢هـ ق / ١٩٩٣م.

٦- **الإصابة في تمييز الصحابة** ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ ق)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥هـ ق / ١٩٩٥م.

٧- **الأصول من الكافي** ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ) ، تصحيح علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ، لبنان ، الطبعة الثانية .

٨- **الأغاني** ، أبو فرج الإصفهاني (ت٣٥٦هـ ق) دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ـ ١٤١٢هـ ق / ١٩٩٢م.

٩- **إمتاع الأسماع** ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠هـ ق / ٢٠٠٠م.

١٠- **أنساب الأشراف** ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ق / ١٩٧٤م.

١١- **بحار الأنوار** ، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ ق) ، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ ق / ١٩٨٣م.

١٢- **البدء والتأريخ** ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت٣٢٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٣- **البداية والنهاية** ، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، لبنان.

١٤- **تاريخ أبي مخنف** ، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي (ت ١٥٧هـ.ق) ، تحقيق كامل سليمان الجبوري ، دار المحجة البيضاء ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.ق / ١٩٩٩م.

١٥- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٦هـ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩هـ.ق / ١٩٩٨م.

١٦- **تاريخ الأمم والملوك (تأريخ الطبري)** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ.ق / ١٩٨٨م.

١٧- **تاريخ الخلفاء** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ.ق)، تحقيق إبراهيم صالح ، دار صادر ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧هـ.ق / ١٩٩٧م.

١٨- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** ، الشيخ محمد بن الحسن الديار بكري، دار صادر ـ بيروت ، لبنان.

١٩- **تذكرة الخواص** ، العلامة سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ.ق) ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠١هـ.ق / ١٩٨١م.

٢٠- **تفسير جوامع الجامع** ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ، الطبعة الثانية ـ ١٤٢٢هـ ق .

٢١- **تفسير القمي**، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، منشورات مكتبة الهدى.

٢٢- **التنبيه والأشراف** ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ ق) دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ، لبنان ، طبعة عام ١٤٢١هـ ق / ٢٠٠٠م.

٢٣- **حُلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني (ت٤٣٠هـ) ، تحقيق سعيد بن سعد الدين خليل الأسكندراني ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ ق / ٢٠٠١م.

٢٤- **ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب والبربر (تاريخ ابن خلدون)** ، عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ـ ١٤١٧هـ ق / ١٩٩٦م.

٢٥- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣هـ . ق / ٢٠٠٢م.

٢٦- **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي؟، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ـ مصر ، طبعة عام ١٣٩٢هـ ق.

٢٧- **السيرة النبوية** ، عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٧هـ) ، تحقيق الشيخ محمد علي القطب، والشيخ محمد الدالي بلطة ، المكتبة العصرية ـ بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ـ ١٤١٩هـ ق / ١٩٩٩م.

٢٨- **السيرة النبوية** ، أحمد بن زيني دحلان ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٦هـ.ق / ١٩٩٦م.

٢٩- **شرح نهج البلاغة** ، أبو حامد هبة الله بن محمد بن محمد الحسين ابن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ ق) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هـ ق / ١٩٦٥م.

٣٠- **الصحيح من سيرة النبي ﷺ** ، العلامة جعفر مرتضى العاملي ، طبعة عام ١٤٠٣هـ ق ـ قم.

٣١- **الطبقات الكبرى** ، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار الفكر ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤هـ ق.

٣٢- **الفتوح** ، أحمد بن أعثم الكوفي ، تحقيق الدكتور سهيل زكّار ، دار الفكر ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٢هـ.ق / ١٩٩٢م.

٣٣- **الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)** ، الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بـ " ابن الصباغ " (ت ٨٥٥هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ ق.

٣٤- **العبقريات الإسلامية** ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٩٧٤م.

٣٥- **الغدير في الكتاب والسنّة الأدب** ، العلامة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٣هـ ق / ١٩٨٣م .

٣٦- **غرر الحكم ودُرَرُ الكلم** ، الإمام علي (عليه السلام) ، ترجمة محمد علي الأنصاري .

٣٧- **كشف الغمة في معرفة الأئمة** ، العلامة المحقق أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ، دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ، لبنان .

٣٨- **الكامل في التاريخ** ، عز الدين أبو الحسن بن أبي أكرم الشيباني المعروف بـ " ابن الأثير " (ت٦٣٠هـ) مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ .ق / ١٩٨٩م.

٣٩- **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين** ، الحسن بن يوسف المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) ، تحقيق حسين درگاهي ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ إيران ، الطبعة الثانية ـ ١٤١٦هـق.

٤٠- **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥هـ .ق / ١٩٩٥م.

٤١- **معجم البلدان** ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق فريد عبد العزيز الجُندي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان .

٤٢- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) ، تصحيح وتنقيح الدكتور يوسف البقاعي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢هـق / ٢٠٠٢م.

٤٣- **معرفة الصّحابة** ، أبو نعيم الإصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت٤٣٠هـ) ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ومسعد عبد الحميد السعدني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢هـ .ق / ٢٠٠٢م.

٤٤- **المعيار والموازنة** ، الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الأسكافي المعتزلي (ت٢٤٠هـ) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، دار المعرفة والهدى ، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٢هـق .

٤٥- **المغازي** ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس ، مكتب الإعلام الإسلامي ، طبعة عام ١٤١٤هـ .ق .

٤٦- **المناقب** ، الحافظ الموفق بن أحمد الحنفي المعروف بـ " اخطب خوارزم " (ت٥٦٨هـ) ، مكتبة نينوى الحديثة .

٤٧- **مناقب آل أبي طالب** ، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السّروي المازندراني ، دار الأضواء ـ بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ـ ١٤١٢هـق / ١٩٩١م.

٤٨- **نهج البلاغة** ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ترجمة محمد دشتي ، نسيم حيات ، الطبعة الثانية ـ ١٣٧٩هـ ش.

٤٩- **وقعة صفين** ، نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ـ القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٢هـ ق.

أخلاق الحرب
عند
الإمام علي

محمد عيدان العبادي

دار الأمين

دار الأمين
بيروت ـ لبنان
هاتف: ٠٣/٦٧٧٤١٨